المصادر والمناهج والاتجاهات التفسيرية

(كتاب منهجي)

تأليف

الدكتور: رحيم الابراهيمي

كلية الفقه/ جامعة الكوفة

مجموعة من المحاضرات التفاعلية وفق
المناهج المعاصرة في التحضير والالقاء

بطاقة الكتاب

عنوان الكتاب:.....المصادر والمناهج والاتجاهات التفسيرية.
المؤلف..... م.د رحيم علوان عبد شاهر الابراهيمي.
الطبعة:.....الاولى.
المطبعة:.....دار عاشوراء للطباعة والنشر.
مكان الطبع.....ناشران، ايران ، قم.
سنة الطبع.....(٢٠٢٤ م - ١٤٤٦هـ)
عدد النسخ.....(٥٠٠) نسخة.
عدد الصفحات.....(١٨٧) صفحة.

بسم الله الرحمن الرحيم
﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾
المائدة(٤٨)

المقدمة:

تناول الباحثون هذا الموضوع بشكل مستفيض في مباحثهم المتنوعة والمتفرقة، وبعضهم أعدَّه على شكل دروس بشكل مطنب، مع الاسهاب والاطالة التي تشتت فكر المتلقي والاستاذ معاً، ورغبت ان اقدم لأساتذتي الكرام وطلابي الأعزاب هذا النموذج الجديد مع مراعات امور منها:

١- العرض وفق المنهج الاكاديمي المعاصر وبأسلوب سلس وسهل.

٢- محاضرات تفاعلية فيها شيء من الايجاز مع مراعات وقت المحاضرة الأكاديمية.

٣- البدء بالأهداف والانتهاء بالأسئلة التقويمية.

٤- سرد المضامين وفق فقرات وحسب متطلبات المقام.

تاركاً الخيار للأستاذ المحاضر في حالة ارتأى الحذف، او الاضافة.

سائلاً الله العليم الحليم أنْ يتقبل منَّا هذا الجهد المتواضع في خدمة العلم, والمتعلمين انه نعم المولى ونعم النصير.

المحاضرة الأولى
مصادر التفسير المختلفة

✓ **أهداف المحاضرة**

- **ان من اهم اهداف المحاضرة هي: أن يكون المتلقي في نهاية المحاضرة قادر على أن:**

✓ يعرف، ويعدد مصادر التفسير المختلفة.

✓ يبين خطوات المصدر النقلي وضوابطه، وشروط الاستفادة منه في العملية التفسيرية.

✓ يبين خطوات المصدر النقلي ، واهم ضوابطه في العملية التفسيرية.

✓ يشرح اهم خطوات مصدر التفسير اللغوي وضوابط الاستفادة منه في العملية التفسيرية.

✓ **أهم فقرات المحاضرة:**

إن أي مفسر يحاول الخوض في العملية التفسيرية لابد له من الرجوع الى الاصول الآتية كونها المصادر الاساسية التي يرتكز عليها المفسر في العملية التفسيرية، وهي:

المصدر أو الاصل الاول: المصدر النقلي (الأثري): وهذا المصدر متفرع الى أصلين او مصدرين أساسيين هما:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: السنة الشريفة.

المصدر، أو الاصل الثاني: العقل.

المصدر، أو الاصل الثالث: اللغة.

فلا مناص للمفسِّر م الرجوع إلى هذه المصادر، والأصول الثلاثة الآنفة الذكر، اذ ما أراد الخوض في العملية التفسيرية، وسوف نتعرض لها بالتفصيل وكما يلي:

✓ **المصدر أو الاصل الاول: القرآن الكريم، والسنة الشريفة.**

أولاً: القرآن الكريم:

عندما يبغي المفسر الاستفادة من المصدر النقلي هذا فلابد له من البحث السندي اولاً، ثم البحث الدلالي ثانياَ، وكما يلي:

اولاً: البحث في سند القرآن الكريم: مما لا شك فيه أنّ القرآن قطعيّ الصدور ومتواتر جيلاً عن جيل، فالعلم بصحّة نقله، كالعلم بالبلدان، والحوادث الكبار، والوقائع العظام، والكتب المشهورة، وأشعار العرب المسطورة، حيث اشتدّت العناية به وتوافرت الدواعي على نقله وحراسته، وبلغت إلى حدٍّ لم يبلغه في ما ذُكِر، لأنّ القرآن معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية، والأحكام الدينية، وقد بلغ علماء المسلمين مبلغاً في حفظه وحمايته، حتى عرفوا كلّ شيء اختُلِفَ فيه، من إعرابه، وقراءته، وحروفه، وآياته.

ثانياَ: البحث في دلالة القرآن الكريم: ينبغي من المفسّر إجراء البحث الدلاليّ للنصّ القرآنيّ، اذ يتوخّى من خلاله تحديد المراد الإلهيّ على نحو الدلالة الصريحة أو الدلالة الظاهرة، عن طريق الاستعانة بآيات أخرى، وعرض بعضها على بعضها الآخر، واستنتاج المعنى، كما يلي:

إرجاع المتشابه من الآيات إلى المحكم.

أ- ارجاع المجمل إلى المبيّن.

ب- ارجاع المنسوخ إلى الناسخ.

ت- ارجاع العام إلى الخاصّ.

ث- ارجاع المطلق إلى المقيّد.

ج- ارجاع المبهم إلى الواضح.

ح- ارجاع الموجز إلى المفصّل.

وغيرها من أنواع إرجاع الآيات إلى آيات أخرى لاستجلاء معانيها وبيان مرادها.

ولا شكّ ولا ريب في حجّيّة الدلالة الصريحة للنصّ القرآنيّ، لأنّه في هذه الحالة لا يوجد احتمال دلاليّ آخر مخالف لدلالة النصّ الصريحة، وأمّا حجّيّة الدلالة الظاهرة للنصّ القرآنيّ، وهي التي تحتمل دلالات أخرى مخالفة، فتكون من خلال التقريبات الآتية:[1]

أ- إنّ المراد من الدلالة الظاهرة هو المعنى المتبادر إلى ذهن العارف باللغة العربية من اللفظ بأقلّ مؤونة من غيره من المعاني، ارتكازاً على القوانين الثابتة عند أهل العرف وأبناء اللغة في مقام التخاطب والتفهيم والتفاهم، وقد نزل القرآن الكريم نزل بلسانٍ عربيّ مبين، ليفهموا آياته ويعقلوها: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، حتّى يتبعوا تعاليمه ويلتزموا بها اعتقاداً وعملاً، ليكتب لهم النجاة والفلاح: ﴿فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[2]، ومن المعلوم أنّ الشارع المقدّس لم يخترع لنفسه طريقة خاصّة لإفهام مقاصده، بل خاطب الناس بالطريقة المألوفة المتداولة في فهم المقاصد من طريق الألفاظ والعبارات، وحينئذٍ فلا محيص عن القول بحجّيّة الاعتماد على ظواهر القرآن، جرياً على اعتبار ظواهر سائر الكتب الموضوعة للتفهيم والتفاهم

(١) انظر: معرفة: التفسير والمفسّرون في ثوبه القسيب، ٧٤/١-٩٨، السبحاني، المناهج التفسيريّة، ص٥٢-٦٢.

(٢) سورة الأعراف/ الآيتان ٢-٣.

وإرادة إيصال المقاصد للآخرين، على أنّ القرآن نفسه قد حثّ الناس على التدبّر في آياته، وذمّ المعرضين عن التدبّر!: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾[١] إنّ القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة على النبوّة والرسالة، ولو لم تكن العرب عارفة بمعاني القرآن، ولم تكن تفهم مقاصده من ألفاظه وآياته، بل لو كان من قبيل الألغاز وغير قابل للفهم، لم يكن وجه لاتّصافه بالإعجاز، ولم يكن وجه لتحدّي الباري عزّ وجلّ المشركين على الإتيان بمثل القرآن أو بعضه، فلا معنى للتحدّي إلّا إذا فرض أنّ الّذين تحدّاهم القرآن كانوا يفهمون معانيه من خلال ظواهره.[٢]

ب- حديث الثقلين المتواتر تواتراً معنويّاً بين الفريقين، والقاضي بضرورة التمسّك بالقرآن والعترة الطاهرة عليهم السلام، ومعنى التمسّك بالقرآن ليس مجرّد الاعتقاد بأنّه قد نزل من عند الله تعالى، بل الأخذ به والعمل بما فيه من أوامر ونواهٍ والاستناد إليه في كلّ اعتقاد أو قول أو فعل.[٣]

ت- الروايات المتواترة، الدالّة على عرض الأخبار على الكتاب، وطرح ما خالف منها[٤]، ومن هذه الروايات: ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **(إنّ على كلّ حقٍّ حقيقة، وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه)**[٥]، وعن الإمام الصادق عليه السلام:

---

(١) سورة محمد/٢٤ الآية.

(٢) مجموعة من المؤلفين، سلسة المعارف الاسلامية، ص ٧٩، ٢٠١٧م.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الكليني، ١/ ٨.

(٥) المجلسي: البحار، ٢/ ١٦٥,

(**كلّ شيء مردود إلى الكتاب والسنّة، وكلّ حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف**)[١]، فإنّ أخبار العرض على القرآن خير شاهد على إمكان فهم معانيه.

ث- الروايات الكثيرة الدالّة على لزوم التمسّك بالقرآن عند وقوع الفتن. ولازم ذلك إمكانية فهم القرآن ومقاصده.[٢]

ثانياً: السنّة الشريفة:

في مدرسة اهل البيت عليهم السلام يعتبر قول المعصوم عليه السلام نبيّاً كان أو إماماً هو حجّة في مقام بيان مراد الله تعالى ومقاصده في القرآن، أمّا حجّيّة بيان النبيّ صلى الله عليه وآله، فلأنّ القرآن نفسه أعطاه هذه الحجّيّة بنحو صريح، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣]، وأمّا حجّيّة قول الإمام عليه السلام فلأنّه أحد الثقلين، لما ورد من روايات متواترة عن النبيّ صلى الله عليه وآله بضرورة التمسّك بالقرآن والعترة الطاهرة عليهم السلام، وما ورد من روايات مستفيضة في أنّهم معدن العلم والوحي والنبوّة، وأنّهم ورثة علم الأنبياء عليهم السلام والمرسلين عليهم السلام، وأنّهم أعلم الناس بالقرآن بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وورثة علمه[٤]، فمع ثبوت قول المعصوم عليهم السلام في مقام التفسير، ووضوح صدوره عنه عليهم السلام لا شبهة في لزوم الأخذ به.

وأمّا قول الصحابة والتابعين، فقد اختُلِفَ في حجّيّة تفسيرهم، والصحيح عدمها، مع أرجحيّة الأخذ بقول الصحابيّ والتابعيّ في خصوص النكات اللغويّة ونقل أسباب النزول، في ما لو كان ما ينقله ليس ناشئاً عن اجتهاده

(١) السبحاني، جعفر: مفاهيم القرآن، ٦/ ١٠

(٢) الكليني: الكافي، ١/ ١٤.

(٣) سورة النحل/ الآية (٤٤).

(٤) انظر: الكليني: الكافي، ١/٢٢١- ٢٢٣.

الشخصيّ، مع توافر شروط الأخذ منه[١].

١- بحث سندي في السنة الشريفة:

ينبغي للمفسّر أن يجري بحثاً سنديّاً في الأحاديث لتحديد إمكانيّة الاستفادة منها ومجالها. ويمكن تقسيم الأحاديث باللحاظ المتقدّم إلى:

أ- الأحاديث المتواترة: وهي عبارة عن خبر جماعة (يفيد القطع بنفسه، وليس بانضمام القرائن) يمتنع تواطؤهم على الكذب، وفي النتيجة يوجب العلم بصدور الخبر. وبعبارة أخرى: هو نقل الروايات لإحدى القضايا بصور متعدِّدة وبطرق مختلفة بحيث يحصل الاطمئنان بعدم كذب مضمونها، لأنّه من غير الممكن عادة أن يتّفق جميع الرواة على الكذب. وتُعدّ الأحاديث المتواترة حجّة في التفسير، لأنّها تفيد العلم، فلا بدّ من الأخذ بها في التفسير والعمل بمضمونها[٢].

ب- أخبار الآحاد: وهي الروايات الّتي لم تصل إلى حدّ التواتر (أي الروايات المنقولة بطريق أو بطريقين ونحو ذلك)، وتقسّم أخبار الآحاد إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الخبر الواحد المحفوف بالقرائن: أي الخبر غير المتواتر والذي يصل عن طريق معتبر ومحفوف بقرائن وشواهد تفيد الصدق واليقين بصدوره عن المعصوم عليه السلام، أو تكون موافقة لظاهر القرآن، وهذا القسم حجّة في التفسير أيضاً.

القسم الثاني: أخبار الآحاد الضعيفة: وهي الأخبار غير المتواترة وليس لها سند معتبر، ولذلك لا يوجد اطمئنان بصدورها عن المعصوم عليه السلام، وهذا النوع

(١) انظر: الطباطبائي: الميزان، ٢٦١/١٢.

(٢) انظر: المصدر نفسه: ٢٦٢/١٢.

من الأحاديث يرِد كثيراً في الروايات التفسيريّة، وربما يكون موضوعاً أو من الإسرائيليات، وهذا القسم غير معتبر في التفسير ولا يعتبر حجّة.

ملاحظة: : حاول بعض المفسِّرين دراسة هذه الأحاديث من ناحية المتن، والاستفادة منها كشاهد في التفسير، إذا كان هناك ما يدلّ على صدقها، كموافقتها لظواهر القرآن مثلاً، لأنّ المبنى عنده هو حجيّة الخبر الموثوق وقد يحصل الوثوق من المتن نفسه[١]، فيما ذهب البعض الآخر إلى حجيّة الأخبار القطعيّة في التفسير وعدم حجيّة الأخبار الضعيفة[٢]، لأنّ المبنى عنده حجّيّة خبر الثقة.

القسم الثالث: أخبار الآحاد المعتبرة: هي الأخبار التي تكون طريقاً معتبراً، بحيث تفيد الظنّ بالصحّة، ولا تورث اليقين.

وأمّا حجّيّة خبر الواحد في التفسير، فيمكن تلخيص الأقوال في المسألة إلى ثلاثة، هي:

القول الاول: حجيّة خبر الواحد مطلقاً في التفسير.

القول الثاني: عدم حجّيّة خبر الواحد مطلقاً في التفسير.

القول الثالث: التفصيل بين حجّيّته في ما إذا كان مفاد الخبر حكماً شرعياً، وعدم حجّيّته في غير باب الأحكام الشرعيّة، كالاعتقادات، (مثلاً).

٢- بحث دلالي في السنة الشريفة: من خلال النظر في دلالة الرواية هل هي على نحو الدلالة الصريحة أو الظاهرة؟ فيستفاد منها في التفسير، أو على نحو الدلالة الظنّيّة أو المجملة فتحتاج إلى قرائن قطعيّة تعيّن أحد احتمالات

---

(١) انظر: المصدر نفسه: ٣/١٨٤-١٨٥.

(٢) انظر: الخوئي، أبو القاسم: البيان في تفسير القرآن، ط٤، بيروت، دار الزهراء للطباعة والنشر، ١٣٩٥هـ.ق/ ١٩٧٥م، ص٣٩٧-٣٩٩.

دلالات الرواية، حتى يُؤخذ بها، وإلا فلا!!!.

✓ **المصدر، او الأصل الثاني: العقل.**

لا إشكال في أنّ حكم العقل القطعيّ، وإدراكه الجزميّ من الأمور الّتي تعدّ من أصول التفسير، فإذا حكم العقل بخلاف ظاهر الكتاب في موردٍ لا محيص عن الالتزام به، وعدم الأخذ بذلك الظاهر، ضرورة أنّ أساس حجّيّة الكتاب، وكونه معجزة كاشفة عن صدق الآتي به، إنّما هو العقل الحاكم بكونه معجزة خارقة للعادة البشرية، ولم يؤتَ، ولن يؤتَى بمثلها، فإنّه الرسول الباطنيّ الّذي لا مجال لمخالفة حكمه ووحيه.

ففي الحقيقة يكون حكمه بخلاف الظاهر وإدراكه الجزميّ لذلك بمنزلة قرينة متّصلة، موجبة للصرف عن المعنى الحقيقيّ، وانعقاد الظهور في المعنى المجازيّ. فمثلاً في قوله تعالى: ﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[١] وإنْ كان ظهوره الابتدائيّ في كون الجائي هو الربّ نفسه، وهو يستلزم الجسميّة الممتنعة في حقّه تعالى، ولكنّ العقل القطعيّ يحكم باستحالة ذلك لاستلزام التجسّم للافتقار والاحتياج المنافي لوجوب الوجود وكونه غنيّاً بالذات، بما يمنع انعقاد ظهور في هذا المعنى، وهو اتّصاف الرّب بالمجيء.

وهكذا قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[٢]، ومثله الآيات الظاهرة على خلاف حكم العقل القطعي[٣].

وأمّا حكم العقل الظنّي فلا اعتبار له في التفسير، لأنّه لا يفيد القطع، وغاية ما يفيده الظنّ: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[٤].

---

(١) سورة الفجر/ الآية ٢٢.

(٢) سورة طه/ الآية ٥.

(٣) انظر: السبحاني: المناهج التفسيريّة، ص٧٨-٨٩، الصغير: المبادىء العامّة لتفسير القرآن، ص٧٠-٧٧.

(٤) سورة يونس/ الآية ٣٦.

✓ **المصدر، او الأصل الثالث: اللغة.**

ينبغي للمفسّر الرجوع إلى اللغة في عمليّة التفسير، وذلك لأنّ القرآن الكريم نزل بلسان عربيّ مبين: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[١]، جارياً في مقام المخاطبة والتفهيم والتفاهم على القواعد والأساليب التي اعتمدها أهل اللغة العربية. ومن هذا المنطلق لا محيص للمفسّر في مقام فهم معاني القرآن وإدراك مقاصده من الرجوع إلى لغة العرب ومعرفة خصائصها وأساليبها وقواعدها، حتى يصل إلى المراد الإلهيّ من آيات القرآن الكريم.

وفي صدد تفسير القرآن، لا بدّ للمفسّر من الرجوع في عمليّة التفسير إلى المعاني المتفاهم عليها في عصر نزول القرآن الكريم، ولا يجوز له الرجوع إلى المعاني غير المستعملة أو غير المعروفة في بيئة النزول، فقد يحتمل أن يكون المعنى المتداول حالياً للفظ من الألفاظ هو غير ما كان متداولاً عليه في عصر النزول، ولا سيّما أنّ اللغة العربية، كغيرها من اللغات، قد خضعت لتغيّرات وتطوّرات على مستوى دلالات الألفاظ، تبعاً للأوضاع والاستعمالات على مرّ العصور والأزمان، لتأثّرها بعوامل وظروف مكانيّة وزمانيّة جديدة حادثة.

والمرجع في هذه الحالة، عند خفاء المعنى المتداول في بيئة النزول للفظ من الألفاظ، يكمن بالرجوع إلى المعاجم والقواميس اللغويّة القريبة من عصر نزول القرآن[٢]، أو المعاجم والقواميس اللغويّة المتخصّصة والمتتبّعة للاستعمالات اللغويّة المختلفة للألفاظ وتطوّراتها[٣]، وكذلك يمكن الرجوع

(١) سورة يوسف/ الآية ٢.

(٢) من المعاجم والقواميس اللغويّة القريبة من عصر النزول: معاني القرآن لأبي زكريا الفرّاء ت: ٢٠٧ هـ.ق، مجاز القرآن لأبي عبيدة المثنّى ت: ٢١٠ هـ.ق، مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ت: ٥٠٢ هـ.ق، وغيرها.

(٣) من المعاجم والقواميس اللغويّة المتخصّصة: ترتيب كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ١٠٠-١٧٠ هـ.ق، الصحاح لإسماعيل بن حمّاد الجوهري ت: ٣٩٣ هـ.ق، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ت: ٣٩٥ هـ.ق، وغيرها.

إلى تفاسير الصحابة، بوصفهم قريبين من عصر النزول، بخصوص إيرادهم تحديد مدلول لغويّ للفظ ما، بشرط أن يكونوا بصدد نقل معنى متداول في عصر النزول، وليس إيرادهم له ناشئاً عن اجتهاد شخصيّ في الفهم.

وتجدر الإشارة إلى أنّه ليس بين آيات القرآن آية واحدة ذات إغلاق وتعقيد في مفهومها، بحيث يتحيّر الذهن في فهم معناها، وكيف، وهو أفصح الكلام، ومن شرط الفصاحة خلو الكلام عن الإغلاق والتعقيد؟ والقرآن كلام عربيّ مبين لا يتوقف في فهمه عربيّ ولا غيره ممّن هو عارف باللغة وأساليب الكلام العربيّ، وإنّما الاختلاف كلّ الاختلاف في المصداق الذي ينطبق عليه المفاهيم اللفظية من مفردها ومركبها، وفي المدلول التصوّريّ والتصديقيّ، ذلك أنّ الأنس والعادة يوجبان لنا أن يسبق إلى أذهاننا عند استماع الألفاظ معانيها المادية أو ما يتعلّق بالمادّة، فإنّ المادّة هي التي تتقلّب فيها أبداننا وقوانا المتعلّقة بها ما دمنا في الحياة الدنيوية، فإذا سمعنا ألفاظ الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة والرضا والغضب والخلق والأمر كان السابق إلى أذهاننا منها الوجودات المادّيّة لمفاهيمها. وكذا إذا سمعنا ألفاظ السماء والأرض واللوح والقلم والعرش والكرسيّ والملك وأجنحته والشيطان وقبيله وخيله ورجله إلى غير ذلك، كان المتبادر إلى أفهامنا مصاديقها الطبيعية. وإذا سمعنا: إنّ الله خلق العالم وفعل كذا وعلم كذا وأراد أو يريد أو شاء أو يشاء كذا قيدنا الفعل بالزمان حملاً على المعهود عندنا. وإذا سمعنا نحو قوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[١]، وقوله: ﴿لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا﴾[٢]، وقوله: ﴿وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ﴾[٣]، وقوله: ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٤]، قيدنا معنى

(١) سورة ق/ الآية ٣٥.

(٢) سورة الأنبياء/ الآية ١٧.

(٣) سورة القصص/ الآية ٦٠.

(٤) سورة البقرة/ الآية ٢٨.

الحضور بالمكان. وإذا سمعنا نحو قوله: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾[١]، أو قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾[٢]، أو قوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾[٣]، فهمنا: أنّ الجميع سنخ واحد من الإرادة، لما أنّ الأمر على ذلك فيما عندنا، وعلى هذا القياس. وهذا شأننا في جميع الألفاظ المستعملة، ومن حقنا ذلك، فإنّ الذي أوجب علينا وضع ألفاظ إنّما هي الحاجة الاجتماعية إلى التفهيم والتفهم، والاجتماع إنّما تعلّق به الإنسان ليستكمل به في الأفعال المتعلّقة بالمادّة ولواحقها، فوضعنا الألفاظ علائم لمسمياتها التي نريد منها غايات وأغراضاً عائدة إلينا. وكان ينبغي لنا أن نتنبّه: أنّ المسمّيات المادّيّة محكومة بالتغيّر والتبدّل بحسب تبدّل الحوائج في طريق التحوّل والتكامل، كما أنّ السراج أوّل ما عمله الإنسان كان إناء فيه فتيلة وشيء من الدهن تشتعل به الفتيلة للاستضاءة به في الظلمة، ثم لم يزل يتكامل حتّى بلغ اليوم إلى السراج الكهربائيّ، ولم يبق من أجزاء السراج المعمول أولاً الموضوع بإزائه لفظ السراج شيء ولا واحد. وكذا الميزان المعمول أولاً، الميزان المعمول اليوم لتوزين ثقل الحرارة مثلاً. والسلاح المتّخذ سلاحاً أوّل يوم، السلاح المعمول اليوم إلى غير ذلك. فالمسميات بلغت في التغيّر إلى حيث فقدت جميع أجزائها السابقة ذاتاً وصفة، والاسم مع ذلك باق، وليس إلّا لأنّ المراد في التسمية إنّما هو من الشيء غايته، لا شكله وصورته، فما دام غرض التوزين الاستضاءة أو الدفاع باقياً كان اسم الميزان والسراج والسلاح وغيرها باقياً على حاله. فكان ينبغي لنا أن نتنبّه إلى أنّ المدار في صدق الاسم اشتمال المصداق على الغاية والغرض، لا جمود اللفظ على صورة واحدة. ومن هنا، كان الاتّكاء والاعتماد على الأنس والعادة في فهم معاني الآيات يشوش المقاصد

(١) سورة الإسراء/ الآية ١٦.
(٢) سورة القصص/ الآية ٥.
(٣) سورة البقرة/ الآية ١٨٥.

منها ويختلّ به أمر الفهم، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[١]، وقوله: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٢]»[٣].

تلخيص المفاهيم الاساسية:

ينبغي للمفسِّر في عمليّة التفسير من الرجوع إلى الأصول الآتية، بوصفها مصادر في التفسير واصولاً له، وهي:

١- الأصل أو المصدر النقليّ(الاثري): ويُراد به القرآن الكريم والسنّة الشريفة. وينبغي للمفسّر في الأصل أو المصدر النقليّ أن يجري بحثاً سنديّاً وآخر دلاليّاً للاستفادة منه في عمليّة التفسير.

٢- الأصل أو المصدر العقليّ، من خلال الرجوع إلى حكم العقل القطعيّ.

٣- الأصل أو المصدر اللغويّ لمعرفة المعاني المتفاهم عليها في عصر نزول القرآن الكريم.

الاسئلة التقويمية

س١: عدد مصادر التفسير، أو اصوله، مع بيان ادلة كل مصدر من حيث السند والدلالة؟

س٢: ما المراد بالأصل أو المصدر النقليّ في التفسير؟ وما هي ضوابط الاستفادة منه في عمليّة التفسير؟

س٣: تكلّم عن الأصل أو المصدر العقليّ في التفسير، مبيّناً حدود الاستفادة من العقل في عمليّة التفسير؟

س٤: تحدّث عن الأصل أو المصدر اللغويّ في التفسير، وما هو مدار الحجّة فيه في فهم القرآن الكريم؟

---

(١) سورة الشورى/ الآية ١١.

(٢) سورة الأنعام/ الآية ١٠٣.

(٣) انظر: الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ١/٩-١١.

المحاضرة الثانية
المناهج والاتّجاهات التفسيريّة

✓ **أهداف المحاضرة.**

- **ان من اهم اهداف المحاضرة هي: أن يكون المتلقي في نهاية المحاضرة قادر على أن:**

✓ يعرف مفهوم المناهج والاتجاهات التفسيريّة وتاريخ نشأتها ومراحل تطوّرها.

✓ يشرح أسباب نشوء المناهج التفسيرية.

✓ يتعرّف إلى تقسيمات الاتجاهات التفسيرية.

✓ **تعريف المنهج والاتّجاه.**

أ- تعريف المنهج:

- لغة: هو الأمر الواضح البيّن، سواء أكان مادّيّاً أو معنويّاً، وسواء أكان في طريق أو برنامج أو جريان آخر. ومن مصاديقه: الطريق الواضح، والأمر البيّن المشخّص، والبرنامج الواضح الجامع، والدين المستبين[١].

- اصطلاحاً: هو الطريق الذي يسلكه المفسّر، بالاستفادة من الوسائل والمصادر الخاصّة الحجّة في تفسير القرآن، بغية الكشف عن معاني القرآن الكريم ومقاصده[٢].

ب- تعريف الاتّجاه:

- لغةً: هو ما يتوجّه إليه من شيء. ومن مصاديقه: ما يتوجّه إليه من ذات أو عمل، ومستقبل الشيء الَّذي يتوجّه إليه، والحالة المخصوصة الجالبة للتوجّه، والمنزلة والرتبة والجاه الَّتي توجب توجّهاً، والجهة والجانب والمكان

---

(١) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٥/ ص٣٦١، الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص٨٢٥، المصطفوي: التحقيق في كلمات القرآن١٢/ ص٢٥٨.

(٢) انظر: الرضائي: مناهج التفسير واتّجاهاته، ص١٧.

يتوجّه إليها[١].

- اصطلاحاً: تأثير ذوق المفسّر وخلفيّاته العقدية أو العصرية أو التخصّصيّة أو غيرها في فهمه لمعاني القرآن ومقاصده[٢].

✓ **الفرق بين المنهج والاتّجاه التفسيريّين.**

يمكن لحاظ مجموعة من الأمور التي يفترق فيها المنهج عن الاتّجاه[٣]، أبرزها الآتية:

١- المنهج هو طريق يسلكه المفسّر للكشف عن معنى الآية ومقصودها، بينما الاتّجاه يدور مدار خلفيّة المفسِّر وذوقه الذي يطبع فهمه للآية بطابع خاصّ بالمفسّر.

٢- يتقوَّم المنهج بمصادر التفسير وأدواته، بينما يتقوّم الاتّجاه بذوق المفسّر وطابعه الخاصّ.

٣- يظهر في المنهج المصدر أو المصادر الأساس التي اعتمد عليها المفسّر في تفسيره (قرآني/ أثري/ عقلي/ تكاملي/...)، بينما يظهر في الاتّجاه أسلوب المفسّر بنحو جليّ (أدبيّ/ كلاميّ/ فلسفيّ/...).

✓ **نشأة المناهج والاتّجاهات التفسيريّة ومراحل تطوّرها.**

ظهرت المناهج التفسيريّة مع ظهور علم التفسير منذ صدر الإسلام على يد النبيّ ﷺ، بوصفه المفسّر الأوّل للقرآن، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٤]، حيث كان ﷺ يعتمد على القرآن نفسه في عمليّة

(١) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٦/ ص٨٨-٨٩، الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص٨٥٥-٨٥٦، المصطفوي: التحقيق في كلمات القرآن، ١٣/٤٥-٤٦.

(٢) انظر: الرضائي: مناهج التفسير واتّجاهاته، ص١٧-١٨.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص١٨، السبحاني، جعفر: المناهج التفسيريّة، ص٧٥-٧٦.

(٤) سورة النحل/ الآية ٤٤.

التفسير، ومن هنا نشأت طريقة تفسير القرآن بالقرآن. وقد تصدّى النبيّ صلى الله عليه وآله لتفصيل ما أُجمل في القرآن، وبيان ما أُبهم منه إمّا بياناً في أحاديثه الشريفة وسيرته الكريمة، أو تفصيلاً جاء في جُلّ تشريعاته من فرائض وسنن وأحكام وآداب، وغيرها.

وقد تصدّى أهل البيت عليهم السلام وعدد من الصحابة لتفسير القرآن على ضوء المنهج السابق مع الاستفادة من المنهج الروائيّ، أي بالاستناد إلى الروايات الصادرة عن الرسول صلى الله عليه وآله في تفسير آيات القرآن، وكذلك بالاستفادة من الأساليب اللغويّة المعهودة عند العرب في مقام التفهيم والتفاهم، ومحاولة مقاربتها في فهم آيات القرآن وتفسيره.

ثمّ ظهرت في القرن الثاني الهجريّ مناهج وأساليب أُخرى بين المسلمين بشكل تدريجيّ، نتيجة ترجمة آثار الحضارتين اليونانية والفارسية وكتبهما، ونفوذ أفكارهما وعلومهما إلى البيئة المعرفيّة الإسلاميّة، بما أفرز مجموعة من الرؤى والأفكار والقضايا والمسائل الجديدة على المستوى الكلاميّ والفلسفيّ، فتكوّنت الاتّجاهات التفسيريّة الكلاميّة، ما أدّى إلى قيام كلّ فرقة من فرق المسلمين، كالأشاعرة والمعتزلة و... بتفسّر القرآن طبقاً لآرائها وعقائدها.

وفي القرن الثالث الهجريّ، بدأت تظهر أساليب جديدة في التفسير على يد العرفاء والمتصوّفة، ما أدّى إلى تطوّر المنهج الإشاريّ في التفسير.

وأمّا محدّثو السنّة والشيعة، فقد اكتفوا بنقل الروايات مُحدِثين بذلك المنهج والاتّجاه الروائيّ في التفسير والذي ظهر في المرحلة الأولى (القرن الثالث والرابع الهجريّ) على شكل تفاسير، مثل: تفسير العيّاشيّ، والقمّيّ، والطبري، وفي المرحلة الثانية (من القرن العاشر حتّى الحادي عشر): الدرّ المنثور،

والبرهان، ونور الثقلين. وخلال هذه الفترة، أي بعد المرحلة الأولى من ظهور التفاسير الروائية بدأت تظهر التفاسير الفقهيّة بأسلوب موضوعيّ وعلى شكل تفسير آيات الأحكام. وبعد أن أخذ بعض التفاسير شكله الطبيعي، مثل: أحكام القرآن للجصّاص الحنفيّ (ت ٣٧٠هـ)، وأحكام القرآن المنسوب إلى الشافعيّ (ت ٢٠٤م) استمرّت كتابة هذا النوع من التفاسير فيما بعد، مثل: أحكام القرآن للراونديّ (ت٥٧٣هـ). ثمّ ظهرت في القرن الخامس والسادس الهجريّ التفاسير الجامعة الاجتهادية، مثل: التبيان، ومجمع البيان، وذلك بالاستفادة من العقل والاجتهاد ومراعاة جوانب متعدّدة في التفسير. ولا تزال هذه الطريقة متداولة حتّى الآن، وقد بادر بعض الفلاسفة إلى كتابة التفسير أيضاً. كما ظهرت وتطوّرت في القرن الأخير أساليب ومناهج جديدة في التفسير، مثل طريقة التفسير العلميّ، والاتّجاه الاجتماعيّ[١].

✓ **أسباب نشوء المناهج والاتّجاهات التفسيريّة.**

يرجع نشوء المناهج والاتّجاهات التفسيريّة المتعدّدة وتبلورها في البحث التفسيريّ إلى مجموعة من العوامل والأسباب، يمكن إيجازها بالآتي[٢]:

١. طبيعة القرآن من حيث النزول التدريجيّ طيلة البعثة النبوية المباركة.
٢. الأمر القرآنيّ بضرورة الرجوع إلى النبيّ صلى الله عليه وآله في فهم القرآن.
٣. اعتقادات المفسّرين واختلاف آرائهم.
٤. الاعتماد على الرأي والقناعات الشخصيّة من قِبَل بعض المفسّرين.
٥. ترجمة نتاجات معرفيّة غير إسلامية ودخولها إلى البيئة المعرفيّة الإسلاميّة.

(١) انظر: معرفة، التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ٥٣٤/٢-٥٣٨، الرضائي، مناهج التفسير واتّجاهاته، ١٨-٢١، السبحاني: المناهج التفسيريّة، ص٧٥-٧٦.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ٥٣٤/٢-٥٣٨، الرضائي: مناهج التفسير واتّجاهاته، ص٢٢-٢٦.

٦. تعدّد مصادر التفسير وأدواته.
٧. ظهور الاتّجاهات العصرية في التفسير.
٨. تخصّص المفسّر.
٩. أسلوب كتابة التفسير.

✓ **تقسيم المناهج التفسيريّة.**

تعدّدت تقسيمات المفسّرين للمناهج التفسيريّة بتعدّد لحاظاتهم في التقسيم، والمشهور منها الآتي[1]:

اولاً: تقسيم المناهج بلحاظ ما يعتمده المفسّر للوصول إلى معنى الآية ومقصدها، وهي:

١. مناهج تفسيرية ناقصة، بلحاظ أنّها لا تغني وحدها المفسّر عن غيرها من المناهج في تفسيره للقرآن.
٢. منهج تفسير القرآن بالقرآن.
٣. منهج تفسير القرآن بالسنّة.
٤. المنهج العقليّ.
٥. المنهج العلميّ.
٦. المنهج الإشاريّ.
٧. التفسير بالرأي (وهو طريق ممنوع استخدامه في التفسير).

تبصرة: إنّ التفسير بالرأي لا يعدّ تفسيراً صحيحاً ومعتبراً، وفي الحقيقة لا يعدّ تفسيراً للقرآن. فذكره بين أقسام المناهج التفسيريّة هو من أجل رَدَّ والتنبيه على خطره.

(١) ينظر: المصدر نفسه، ٢/٥٣٤-٥٣٨، الرضائي: مناهج التفسير واتّجاهاته، ص٢٦-٢٨، ٣٣-٤١، الصغير: المبادىء العامّة لتفسير القرآن، ص٧٧، العك، خالد عبد الرحمن: أصول التفسير وقواعده، ط٣، بيروت، دار النفائس، ١٤١٤هـ.ق/ ١٩٩٤م، ص٧٧-٢٦١.

ثانياً: مناهج تفسيريّة كاملة: المنهج التكامليّ.

والمقصود به: هو المنهج الّذي يستفيد من جميع هذه الطرق قدر الإمكان[١]، لكي يتبيّن مقصود الآيات بصورة كاملة من جميع الجوانب[٢].

ثالثاً: تقسيم المناهج بلحاظ صحّة المنهج.

اولاً: منهج صحيح ومعتبر.

١. التكاملي.

٢. تفسير القرآن بالقرآن.

٣. تفسير القرآن بالسنّة.

٤. العقليّ.

٥. العلميّ.

٦. الإشاريّ.

ثانياً: ممنوع باطل غير معتبر.

١. التفسير بالرأي.

٢. بعض طرق التفسير الإشاريّ والعلميّ.

✓ تقسيم الاتّجاهات التفسيريّة.

يمكن تقسيم الاتجاهات التفسيريّة إلى أقسام فرعية على أساس الاعتقادات، والأفكار، والاتّجاهات العصريّة، وطريقة الترتيب، والذوق والتخصّص العلميّ للمفسِّرين، وفق الآتي[٣]:

اولاً: الاتّجاهات الكلاميّة:

وهو انطلاق المفسّر في عمليّة التفسير من خلفيّة عقديّة يروم من خلالها

(١) المناهج المذكورة سابقاً غير التفسير بالرأي، وبعض طرق التفسير الإشاري والعلمي.

(٢) انظر: الرضائي: مناهج التفسير واتّجاهاته، ص٢٧-٢٨، ٣٥٣-٣٥٦.

(٣) انظر: الرضائي: مناهج التفسير واتّجاهاته، ص٢٩-٣٢.

الدفاع عن مذهبه وأصول الاعتقاد لديه، بالاستناد إلى آيات القرآن الكريم.

ثانياً: الاتّجاهات التخصّصيّة:

وهو انطلاق المفسّر في عمليّة التفسير من خلفيّات تخصّصيّة علميّة متعدّدة، أدبيّة، أو فقهيّة، أو اجتماعيّة، أو أخلاقيّة، أو تاريخيّة،...، بحيث يظهر هذا الاهتمام العلميّ لديه بشكل واضح في ما يقدِّمه من نتاج تفسيريّ.

ثالثاً: الاتجاهات العصريّة:

وهو انطلاق المفسّر في عمليّة التفسير من محيطه الاجتماعيّ المعاصر، مدفوعاً بدافع الحاجة والضرورة للإجابة عن مجموعة من القضايا والمسائل الملحّة، المعنويّة، والأخلاقيّة، والسياسيّة، والاقتصاديّة، والعسكريّة...

رابعاً: الاتجاهات الأسلوبيّة:

يختلف أسلوب الكتابة عند المفسِّرين، فهي تتفاوت على أساس الذوق ومراعاة حال المخاطَب. فقد يكون التفسير ترتيبيّاً، أي تفسير القرآن آية آية ومن أوّله إلى آخره، كما هو الحال في تفسير (الميزان للعلامة الطباطبائي، والأمثل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ومجمع البيان للعلامة الطبرسي)، أو قد يكون موضوعيّاً، فيختار المفسِّر أحد المواضيع ويجمع كلّ ما يتعلّق به في جميع الآيات والسور، ثمّ يخرج بنتيجة معيّنة، مثل (تفسير نفحات القرآن، للشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ومفاهيم القرآن للشيخ جعفر السبحاني).

وربَما يُكتَب التفسير بصورة مختصرة أو متوسطة أو مفصّلة، أي من حيث الحجم والكميّة كما هو الحال في التفاسير: الأصفى، والمصفّى، والصافي للمرحوم للفيض الكاشاني، وكذلك التفاسير: الوجيز، والجوهر الثمين، وصفوة التفاسير للسيد عبد الله شبّر، وأيضاً التفاسير الثلاثة للعلامة الطبرسي، وهي: جوامع الجامع، ومجمع البيان، والكافي الشافي، فالأوّل مختصر والثاني

متوسّط والثالث مفصّل. وربَما يأتي التفسير على شكل متن وشرح فتكون الآية متناً والتفسير شرحاً للآية، وقد يختلط التفسير بالآيات بصورة مزجيّة، مثل: تفسير شُبَّر، ونفحات الرحمن للنهاوندي.

وفي بعض الأحيان يكون التفسير شاملاً لجميع آيات القرآن، مثل: مجمع البيان، وأُخرى ناقصاً ومُشتملاً على سورة واحدة أو عدد من السور، أو حتّى مجموعة من السور، مثل: تفسير أحكام القرآن للراوندي الّذي يشتمل على الآيات الفقهية فقط، وتفسير آلاء الرحمن للبلاغي، وهو تفسير لم يكتمل للآيات كلّها.

✓ **تلخيص المفاهيم الرئيسة.**

١- المنهج التفسيريّ هو الطريق الذي يسلكه المفسّر، بالاستفادة من الوسائل والمصادر الخاصّة الحجّة في تفسير القرآن، بغية الكشف عن معاني القرآن الكريم ومقاصده.

٢- الاتّجاه التفسيريّ هو تأثير ذوق المفسّر وخلفيّاته العقدية أو العصرية أو التخصّصيّة أو غيرها في فهمه لمعاني القرآن ومقاصده.

٣- ظهرت المناهج التفسيريّة مع ظهور علم التفسير منذ صدر الإسلام على يد النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام وعدد من الصحابة. وفي القرن الثاني الهجريّ برزت مناهج وأساليب أُخرى بين المسلمين بشكل تدريجيّ، نتيجة ترجمة آثار الحضارتين اليونانية والفارسية وكتبهما. وفي القرن الثالث الهجريّ، بدأت تظهر أساليب جديدة في التفسير على يد العرفاء والمتصوّفة، ما أدّى إلى تطوّر المنهج الإشاريّ في التفسير. وفي القرن الأخير ظهرت أساليب ومناهج جديدة في التفسير، مثل طريقة التفسير العلميّ، والاتّجاه الاجتماعيّ.

٤- أبرز المناهج التفسيريّة: منهج تفسير القرآن بالقرآن، ومنهج تفسير

القرآن بالسنّة، والمنهج العقليّ، والمنهج العلميّ، والمنهج الإشاريّ والمنهج التكامليّ...

٥- أبرز الاتّجاهات التفسيريّة: الاتّجاهات الكلاميّة، والاتّجاهات التخصّصيّة الأدبيّة والفقهيّة والاجتماعيّة والتاريخية...، والاتّجاهات العصريّة، المعنويّة، والأخلاقيّة، والسياسيّة، والاقتصاديّة، والعسكريّة...، والاتّجاهات الأسلوبيّة، ...

✓ **الاسئلة التقويمية.**

١- عرّف كلّاً من المنهج والاتّجاه التفسيريّين، مبيّناً وجود الفرق بينهما؟

٢- ما هي أسباب نشوء المناهج والاتّجاهات التفسيريّة؟

٣- اذكر أبرز المناهج والاتّجاهات التفسيريّة؟

✓ **المراجعة والتذكر.**

قراءة في تفسير آلاء الرحمن[١].

التفسير من تأليف الإمام المجاهد والعلّامة الناقد الشيخ محمد جواد البلاغيّ النجفيّ (١٢٨٢ - ١٣٥٢هـ.ق).

وله مؤلّفات كثيرة، وهذا التفسير من أفضلها، حيث كان من آخر تآليفه، فكان أدقّها وأمتنها سوى أنّه من المؤسف جداً أنه لم يُملهه الأجل، فقضى نحبه عند بلوغه لتفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾[٢]، فأكمل تفسير الآية، ولحق بجوار ربّه الكريم، ليوفّيه أجره حسبما وعد في الآية، والكريم إذا وعد وفى.

وكان شيخنا العلّامة البلاغيّ عارفاً باللغات العبريّة والإنجليزيّة والفارسيّة

(١) معرفة: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ٨٩٩/٢-٩٠٠.

(٢) سورة النساء/ الآية ٥٧.

إلى لغته العربيّة، مُجيداً فيها، ما ساعده على مراجعة أهمّ المصادر للتحقيق عن مبادئ الأديان القديمة، والوقوف على مبانيها، فكانت تآليفه في هكذا مجالات ذوات إسناد متين وأساس ركين.

وتفسيره هذا هادف إلى بيان حقائق كلامه تعالى وإبداء رسالة القرآن، في أسلوب سهل متين، يجمع بين الإيجاز والإيفاء، والإحاطة بأطراف الكلام، بما لا يدع لشبه المعاندين مجالاً، ولا لتشكيك المخالفين مسرباً. هذا إلى جنب أدبه البارع ومعرفته بمباني الفقه والفلسفة والكلام والتاريخ، ولا سيّما تاريخ الأديان وأعراف الأمم الماضية، والتي حلّ بها كثيراً من مشاكل أهل التفسير. ومن ثمّ كان منهجه في التفسير ذا طابع أدبيّ كلاميّ بارع.

المحاضرة الثالثة
منهج تفسير القرآن بالقرآن

✓ **أهداف المحاضرة.**

- ان من اهم اهداف المحاضرة هي: أن يكون المتلقي في نهاية المحاضرة قادر على أن:

١- يتعرّف إلى منهج تفسير القرآن بالقرآن ونشأته وأهمّيّته في البحث التفسيريّ.

٢- يناقش أدلة القائلين بحجّية تفسير القرآن بالقرآن أو عدمها.

٣- يفهم نماذج من تطبيقات منهج تفسير القرآن بالقرآن.

✓ **تمهيد:**

تعدّ طريقة تفسير القرآن بالقرآن من أقدم الطرق في تفسير القرآن، وهو أحد أقسام المنهج النقليّ[١]، وقد استحسن جميع المفسّرين والمتخصّصين إلّا ما شذّ هذه الطريقة في التفسير، واستفادوا منها في كثير من الموارد، بل إنّ بعضهم عدّها من أفضل الطرق في التفسير[٢].

✓ **تعريف منهج تفسير القرآن بالقرآن.**

منهج تفسير القرآن بالقرآن: هو الطريق الذي يسلكه المفسّر في عمليّة التفسير، من خلال مقابلة الآية بالآيات الأخرى، وجعل بعضها شاهداً على بعضها الآخر، بغية الكشف عن معاني القرآن الكريم ومقاصده[٣].

✓ **نشأة منهج تفسير القرآن بالقرآن وتاريخه.**

يُعدّ تفسير القرآن بالقرآن من أقدم طرق التفسير، ويرجع استخدامه إلى زمن

---

(١) ينقسم المنهج النقلي إلى قسمين: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنّة.

(٢) انظر: الرضائي: مناهج التفسير واتّجاهاته، ص٤٧-٨٧، معرفة: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ٥٣٩/٢-٥٤٣، السبحاني، المناهج التفسيريّة، ص١٤٣-١٤٩.

(٣) انظر: الرضائي، مناهج التفسير واتّجاهاته، ص٤٩.

الرسول صلى الله عليه وآله، وقد استخدمه الأئمّة عليهم السلام وبعض الصحابة والتابعين. وفيما يأتي بعض الأمثلة على ذلك:

المثال الاول: سُئل الرسول صلى الله عليه وآله عن معنى «الظلم» في الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾[١]، فأجاب النبيّ صلى الله عليه وآله، بالاستناد إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٢] بأنّ المقصود بالظلم في الآية الأولى هو الشرك المذكور في الآية الثانية[٣].

المثال الثاني: استنتج الإمام عليّ عليه السلام من خلال الآيتين: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾[٤]، ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾[٥]، بأنّ أقلّ مدّة للحمل هي ستّة أشهر، بلحاظ أنّ مدّة الرضاع سنتان، كما تشير الآية الأولى، ومدّة الحمل والرضاع معاً ثلاثون شهراً، كما تشير الآية الثانية، والجمع بينهما يقتضي كون أقلّ الحمل ستّة أشهر[٦]. وهذا نوع من تفسير القرآن بالقرآن.

وقد استخدم مفسّرو الشيعة هذا المنهج بعد ذلك مع ظهور تفاسير، مثل: التبيان للشيخ الطوسي، ومجمع البيان للشيخ الطبرسي، وكذلك مفسّرو أهل السنّة.

وقد حظي هذا المنهج باهتمام واسع، خاصّةً عند المفسّرين في القرن الأخير، كما يتّضح ذلك في تفسير الميزان للعلّامة الطباطبائي، وآلاء الرحمن للشيخ البلاغي،...

---

(١) سورة الأنعام/ الآية ٨٢.

(٢) سورة لقمان/ الآية ١٣.

(٣) انظر: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، ٩٩/٤-١٠٠، ابن حنبل، مسند أحمد١/٣٧٨.

(٤) سورة لقمان/ الآية ١٤.

(٥) سورة الأحقاف/ الآية ١٥.

(٦) انظر: المجلسي: بحار الأنوار، ١٨٠/٤.

✓ **أدلّة القائلين بحجّيّة تفسير القرآن بالقرآن.**

اعتمد أصحاب هذا المنهج على عدّة أدلّة للاستدلال على جواز بل لزوم هذا التفسير، هي الآتية:

اولاً: الدليل القرآنيّ:

نبين هذا الدليل من خلال:

١- قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[١]، بتقريب: أنّه حاشا أن يكون القرآن تبياناً لكلّ شيء ولا يكون تبياناً لنفسه[٢].

٢- قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[٣]، بتقريب: أنّه كيف يكون القرآن هدى وبيّنة وفرقاناً ونوراً مبيناً للناس في جميع ما يحتاجون إليه ولا يكفيهم في احتياجهم إليه وهو أشدّ الاحتياج؟![٤].

٣- قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[٥]، بتقريب: أنّ هذه الآية قسّمت آيات القرآن إلى مجموعتين:

المجموعة الاولى: الآيات المحكمات.

المجموعة الثانية: الآيات متشابهات.

وكلمة (المحكم): من الإحكام بمعنى: (المنع)، ولهذا يقال للمواضيع الثابتة القويّة محكمة، لأنّها تمنع عن نفسها عوامل الزوال. كما أنّ

---

(١) سورة النحل/ الآية ٨٩.

(٢) انظر: الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ١١/١.

(٣) سورة النساء/ الآية ١٧٤.

(٤) انظر: المصدر السابق، ١١/١.

(٥) سورة آل عمران/ الآية ٧.

كلّ قول واضح وصريح لا يعتريه أيّ خلاف يقال له «قولٌ محكم»، وعليه، فإنّ الآيات المحكمة هي الآيات ذات المفاهيم الواضحة والّتي لا مجال للخلاف والجدل حولها. وأمّا الآيات المتشابهة فهي الآيات ذات المعنى المعقّد، أو الّتي تحتمل معاني متعدّدة، والّتي لا يتّضح معناها المقصود إلّا في ضوء الآيات المحكمة. وقد أطلق على الآيات المحكمة «أُمُّ الكتاب»، أي هي الأصل والمرجع للآيات الأخرى، وبعبارة أخرى: لا بُدّ من إرجاع الآيات المتشابهات إلى المحكمات لكي يتّضح معناها. وهذه الطريقة هي أحد أنواع تفسير القرآن بالقرآن[١].

ولكي نفهم بعض الآيات الواردة في القرآن، لا بدّ من مراجعة الآيات المشابهة، فقد جاء ذكر قصّة النبيّ موسى عليه السلام وفرعون في أكثر من سورة[٢]، ولا يمكن تفسير هذه الآيات ورفع الإبهام عنها ما لم يتمّ مراجعة هذه السور بآياتها المتعلّقة بموضوع النبيّ موسى عليه السلام وفرعون.

ثانياً: الدليل الروائيّ.

١- السنّة العمليّة لرسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، حيث استخدموا هذه الطريقة عمليّاً.

٢- الأحاديث الواردة عن الرسول صلى الله عليه وآله، وأهل البيت عليهم السلام بصدد الإشارة إلى هذه الطريقة في التفسير، ومنها: ما ورد عنه صلى الله عليه وآله: «**إنّ القرآن ليصدّق بعضه بعضاً فلا تكذبوا بعضه ببعض**»[٣]. وعن الإمام عليّ عليه السلام: «وكتاب الله بين أظهركم ناطق لا يعيى لسانه، وبيت لا

(١) انظر: المصدر السابق، ٢٠/٣-٢٣.

(٢) انظر: سورة الأعراف/ الآيات ١٠٥-١٣٦، سورة طه/ الآيات ٩-٩٨، سورة الشعراء/ الآيات ١٠-٦٧، سورة النمل/ الآيات ٧-١٤.

(٣) المتّقي الهندي: كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال، ٦١٩/١.

تُهدم أركانه، وعزّ لا تهزم أعوانه... كتاب الله تبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف في الله، ولا يخالف بصاحبه عن الله»[1].

ثالثاً: السيرة العقلائيّة.

ويمكن تقريب الاستدلال بالسيرة العقلائيّة على حجّيّة تفسير القرآن بالقرآن من خلال المقدّمات الآتية:

١- قامت سيرة العقلاء في مقام التفهيم والتفاهم على مراعاة القرائن الموجودة في الكلام عند فهم أيّ كلام، فإذا جاء ذكر أحد المطالب بصورة مطلقة وعامّة، وفي مكان آخر بصورة مقيّدة وخاصّة، فلا بدّ من النظر إلى الكلام بصورة كلّيّة باعتباره مجموعة كاملة، وهذه هي طريقة العقلاء في فهم أيّ كلام.

٢- نزل القرآن الكريم بلغة العرب: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2]، بهدف إيصال مقاصده للناس جرياناً على أسلوب العرب في مقام التفهيم والتفاهم. لذا، فالقرآن الكريم غير مستثنى من القاعدة العقلائية المتقدّمة، لجهة الاستفادة من بعض الآيات بوصفها قرائن لفهم آيات أخرى وتفسيرها. وهذا هو نفسه المراد بتفسير القرآن بالقرآن.

٣- لم يخترع الشارع طريقة معيّنة غير الطريقة المذكورة ويوجبها في مقام فهم كلامه من قِبَل الناس.

٤- لم يمنع الشارع المقدّس الناس في مقام فهمهم للقرآن من الجريان وفق هذه الطريقة العقلائية، بل قام بتأييدها وبالجري وفقها، فعندما نراجع

(١) الشريف الرضي: نهج البلاغة، الخطبة ١٣٣، ١٦/٢-١٧.

(٢) سورة يوسف/ الآية ٢.

سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله، والأئمّة عليهم السلام نجد أنّهم استخدموا هذه الطريقة، أي الاستفادة من بعض الآيات في فهم آيات أخرى. وكذلك جرى المتشرّعة من بعدهم على هذه الطريقة، من الصحابة والتابعين ومفسِّري القرآن على طول التاريخ إلى عصرنا الراهن. ومن خلال ذلك نستدلّ على جواز هذا المنهج، بالإضافة إلى عدم وجود منع من الشارع.

✓ **أدلّة القائلين بعدم حجّيّة تفسير القرآن بالقرآن**

استدلّ القائلون بعدم حجّيّة تفسير القرآن بالقرآن بمجموعة من الأدلّة والتقريبات، أبرزها الآتية:

١- بأنّ فهم القرآن مختصّ بأهله، وهم المخاطبون الحقيقيّون به، وهم النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام.

٢- إنّ القرآن يحتوي على مضامين عالية وعميقة لا يفهمها إلّا الراسخون في العلم، ولا تنالها الأفكار العاديّة للناس.

٣- إنّ القرآن الكريم يشتمل على آيات متشابهة وهو ما يؤدّي إلى المنع عن اتّباع ظواهر الكتاب.

٤- إنّنا نعلم علماً إجماليّاً بوجود مخصِّصات ومقيّدات لكثير من ظواهر القرآن الكريم ممّا يعني عدم إمكانيّة التمسّك بالظواهر القرآنية.

وفي مقام الجواب عن هذه المقاربات، يمكن القول:

١- إنّ المقصود من اختصاص فهم القرآن بالنبيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، وأنّهم المخاطبون الحقيقيّون هو الفهم الكامل للقرآن أعمّ من المحكم والمتشابه، والمنع من الاستقلال بالفتوى من دون مراجعة الروايات، وأمّا بعد مراجعة القرائن النقليّة، أو بعد البحث وعدم العثور على روايات معتبرة، فلا يوجد مانع من الأخذ بظواهر القرآن الكريم. إضافة

إلى ذلك، فإنّ الروايات نفسها قد أرجعتنا إلى القرآن والاستدلال به، كما في رواية عبد الأعلى مولى آل سام، قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: عثرت فانقطع ظفري، فجعلت على إصبعي مرارة، فكيف أصنع بالوضوء؟ قال عليه السلام: «يُعرف هذا وأشباهه من كتاب الله عزّ وجلّ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1] امسح عليه»[2].

٢- لا يوجد تعارض بين وجود مضامين عالية وصعبة الفهم في القرآن، والرجوع إلى الظواهر الواضحة والاستدلال بها.

٣- إنّ ظواهر القرآن ليست من المتشابهات، أي إنّ المقصود من المتشابهات هنا هو الآيات المجملة، ولكنّ ظواهر القرآن ليست مجملة ولا متشابهة.

٤- إنّ الأخذ بظواهر القرآن يكون بعد مراجعة المخصِّصات والمقيِّدات والروايات الأخرى، وعندها ينحلّ العلم الإجمالي، ويرتفع حينئذ المانع من الأخذ بالظواهر.

✓ **تطبيقات منهج تفسير القرآن بالقرآن.**

يعدّ «تفسير القرآن بالقرآن» منهجاً كلّياً يتضمّن تحته مصاديق وطرقاً فرعية متعدِّدة يستفيد منها المفسِّرون في التفسير، وإنّ معرفة هذه الطرق تساعد المفسِّر على تقديم تفسير جامع لآيات القرآن الكريم.

ولكي تتوضّح صورة الاستدلال عند المفسِّر للقرآن بالقرآن، سوف نشير إلى أهمّ هذه الطرق وأكثرها شيوعاً، مع إيراد أمثلة ونماذج توضيحية لهذا المنهج:

اولاً: إرجاع المتشابهات إلى المحكمات.

تنقسم آيات القرآن إلى آيات محكمة ومتشابهة، وتعدّ الآيات المحكَمة هي

---

(١) سورة الحج/ الآية ٧٨.

(٢) الكليني: الكافي، كتاب الطهارة، باب الشكّ في الوضوء، ٣/ ص٣٣.

الأساس والمرجع للآيات القرآنية، ولا بُدّ من إرجاع الآيات المتشابهة إليها لكي يتّضح معناها، أو يتعيّن أحد احتمالاتها.

مثال: يوجد بعض الآيات في القرآن يدلّ ظاهره على التجسيم، مثل الآيات الّتي تصف الله سبحانه وتعالى بأنّه: «**سميع**» و«**بصير**»[١]، والآية الشريفة ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٢]، ولا بد من إرجاع مثل هذه الآيات إلى الآيات المحكمة مثل الآية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٣] حيث يتّضح معناها في ضوء هذه الآية وأمثالها، فعندما نقارن الآيات المذكورة مع الآيات المحكمة، فسوف يتبيّن أنّ المقصود باليد هنا ليس هو اليد الجسمانية بل هو كناية عن شيء آخر كالقدرة مثلاً. وعلى هذا يمكن تفسير الآية: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٤]، بمعنى قدرة الله.

ثانياً: الجمع بين الآيات المطلقة والمقيّدة.

قد جاءت بعض الآيات بصورة مطلقة بدون قيد في حين ذُكرت آيات أُخرى مقيّدة ببعض القيود، فتفسير الآيات المطلقة بدون النظر في الآيات المقيّدة غير صحيح ولا يكشف عن المراد الجدّي للمتكلِّم، وبعبارة أخرى إنّ الآيات المقيّدة مفسِّرة للآيات المطلقة، فمثلاً جاء ذكر الصلاة في بعض الآيات بصورة مطلقة ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾[٥]، في حين قُيّد هذا الإطلاق بزمان خاص في آيات أخرى كما في الآية: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[٦].

---

(١) سورة الشورى/ الآية ١١.

(٢) سورة الفتح/ الآية ١٠.

(٣) سورة الشورى/ الآية ١١.

(٤) سورة الفتح/ الآية ١٠.

(٥) سورة البقرة/ الآيات ٤٣/ ٨٣، ١١٠، سورة النساء/ الآية ٧٧،...

(٦) سورة الإسراء/ الآية ٧٨.

ثالثاً: الجمع بين العامّ والخاصّ.

قد جاءت ألفاظ بعض الآيات على جهة العموم والشمول لأفراد كثيرين، وذلك باستعمال بعض ألفاظ العموم، مثل كُلّ، في حين خصَّصَت آيات أخرى هذا العموم. وبما أنّ تفسير القرآن هو تعيين المراد الإلهيّ وتوضيح الآية بصورة كاملة، فإنّ هذا لا يحصل إلّا بوضع الخاصّ بجانب العامّ. وبعبارة أخرى إنّ الآيات الخاصّة تُفسِّر وتبيّن العموم في الآيات الأخرى، فمثلاً جاء ذكر الزواج بصورة مطلقة في الآية: ﴿فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء﴾[1] واستثنيت موارد خاصّة في الآية الكريمة: ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاء سَبِيلاً * حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ...﴾[2]، ففي الآيات الأولى وردت الرخصة في الزواج من جميع النساء، أمّا في الآيات الأُخرى فقد استثنيت الأم والأخت وزوجة الأب و...

رابعاً: توضيح الآيات المجملة بواسطة الآيات المبيّنة.

ورد بعض الآيات في القرآن الكريم بصورة مختصرة ومجملة، فيما جاء بيان هذا الموضوع بصورة مفصّلة في مكانٍ آخر. فالمجموعة الثانية من الآيات تُفسِّر الآيات الأولى. وقد لا يُفهم المعنى والمراد من الآيات المجملة دون الرجوع إلى الآيات المبيّنة، وحينئذٍ لا يكون التفسير صحيحاً. مثال: أشار القرآن الكريم إلى مسألة أكل لحوم الحيوانات بقوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾[3]، وقال في آية أخرى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾[4].

---

(١) سورة النساء/ الآية ٣.

(٢) سورة النساء/ الآيتان ٢٢-٢٣.

(٣) سورة المائدة/ الآية ١.

(٤) سورة المائدة/الآية ٣.

ففي الآية الأولى جاء تحليل لحوم بعض الحيوانات بصورة مجملة، وأنّه سوف يأتي تحريم بعض أنواع اللحوم في المستقبل، وقد بُيّنت هذه الموارد في الآية الأخرى، فهنا تكون الآية الثانية مفسِّرة للآية الأولى.

خامساً: الاستفادة من سياق الآيات:

فمثال ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ * خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاء الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾[1].

وقد جاء في نهاية هذه الآيات: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾[2]. فإذا أخذنا بظاهر هذه الآية دون الالتفات إلى سياق الآيات المتقدّمة لفُهِم منه أنّ الله سبحانه وتعالى يخاطب شخصاً محترماً وعزيزاً، أمّا إذا أخذنا بنظر الاعتبار الآيات المتقدّمة فسوف يتبيّن أنّ هذا الشخص (الذي اعتُبر عزيزاً كريماً في ظاهر الآية) ما هو إلّا ذليل حقير.

سادساً: تحديد معاني الاصطلاحات القرآنية بالاستعانة بالآيات الأخرى.

اذ توجد في القرآن الكريم اصطلاحات خاصّة خارجة عن معناها اللغويّ، فلا يمكن تفسيرها بمراجعة كتب اللغة، بل يجب مراجعة الآيات الأخرى ومعرفة لغة القرآن. مثال: مصطلح الجنّ: المعنى اللغويّ هو «**المستور، المخفيّ**» وفي اصطلاح القرآن الجنّ موجودات عاقلة لا تُرى بالعين.

سابعاً: جمع الآيات الناسخة والمنسوخة.

لقد جاء بعض الآيات ليبيّن بعض الأحكام ثمّ أُنزلت آيات أخرى (على أساس المصلحة والشرائط الجديدة) ونسخت الآيات السابقة وشرّعت أحكاماً

(١) سورة الدخان/ الآيات ٤٣-٤٨.

(٢) سورة الدخان/ الآية ٤٩.

جديدة. وثمّة اختلاف بين المختصِّين في علوم القرآن في عدد الآيات المنسوخة. وعلى المفسِّر حين يشرع في تفسير الآية أن يأخذ بنظر الاعتبار الآيات الناسخة والمنسوخة، وإلّا فسوف يكون تفسيره تفسيراً ناقصاً. مثال: ورد الأمر في سورة المجادلة بأنّ على المؤمنين أن يتصدّقوا في حالة وجود كلام خصوصيّ لهم مع النبيّ صلى الله عليه وآله، ولم يعمل بهذا الحكم إلّا الإمام عليّ عليه السلام، وقد نُسخ هذا الحكم في الآيات الأخرى، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾[1]، وعلى هذا فبيان الحكم الأوّل بدون ذكر الناسخ في الآية الأُخرى يكون تفسيراً ناقصاً.

ثامناً: الالتفات إلى الآيات المشابهة (من حيث اللفظ أو المحتوى).

القرآن الكريم هو كتاب هداية وتربية، فقد يطرح الموضوع الواحد في عدّة سور، وتتناول كلّ سورة من السور جانباً من جوانب هذا الموضوع بصور قد تتشابه في التفسير، فإذا أراد المفسِّر الشموليّة في فهم الموضوع، عليه أن يضع الآيات بعضها مع بعضها الآخر حتّى يتّضح معناها. فقد تأخذ هذه الطريقة في الواقع اسم التفسير الموضوعيّ، كما فعل ذلك آية الله مكارم الشيرازي في كتابه التفسيريّ (نفحات القرآن)، وآية الله السبحانيّ في كتابه (مفاهيم القرآن)، أو قد تأخذ طابع التفسير الترتيبيّ فيما إذا قام المفسِّر بجمع آيات الموضوع الواحد في موارد مختلفة من التفسير، كما استخدم العلامة الطباطبائي هذه الطريقة في تفسير الميزان، مثال: قام العلامة الطباطبائي في الآية (٢٩) من سورة البقرة بدراسة المباحث المتعلّقة بإعجاز القرآن والآيات الّتي جاءت حوله.

(١) سورة المجادلة/ الآيتان ١٢-١٣.

✓ **أبرز التفاسير التي تعتمد منهج تفسير القرآن بالقرآن.**

توجد مجموعة كبيرة من التفاسير التي تعتمد منهج تفسير القرآن بالقرآن، منها:

١- الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي (٢٠ جزءاً).
٢- تفسير المنار: محمد رشيد رضا (وأستاذه الشيخ محمد عبده) (١٢ جزءاً).
٣- الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنّة: الدكتور محمد الصادقي الطهراني (٣٠ جزءاً). وله – أيضاً -: التفسير الموضوعي بين الكتاب والسنّة (٢٢ جزءاً).
٤- آلاء الرحمن في تفسير القرآن: الشيخ محمد جواد البلاغي (جزءان/ غير مكتمل).
٥- التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب (١٦ جزءاً).
٦- تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن: محمد أمين بن محمد مختار.
٧- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي. وله - أيضاً -: نفحات القرآن (٦ أجزاء).
٨- تفسير تسنيم: الشيخ عبد الله جوادي آملي (٣٦ جزءاً حتى الآن، وما زال يصدر).
٩- مفاهيم القرآن: الشيخ جعفر السبحاني (١٠ أجزاء).
١٠- معارف القرآن: الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي (١٠ أجزاء).

✓ **التذكير بالمفاهيم الرئيسة.**

١- منهج تفسير القرآن بالقرآن: هو طريق يسلكه المفسّر في عمليّة التفسير، من خلال مقابلة الآية بالآيات الأخرى، وجعل بعضها شاهداً على بعضها الآخر، بغية الكشف عن معاني القرآن الكريم ومقاصده.

٢- يُعدّ تفسير القرآن بالقرآن من أقدم طرق التفسير، ويرجع استخدامه إلى زمن الرسول صلى الله عليه وآله وقد استخدمه الأئمّة عليهم السلام وبعض الصحابة والتابعين.
٣- أدلّة القائلين بحجّيّة تفسير القرآن بالقرآن على عدّة أدلّة للاستدلال على جواز بل لزوم هذا التفسير، هي الآتية: آيات القرآن، السنّة الشريفة، السيرة العقلائيّة بضميمة عدم ردع الشارع عنها، بل جريانها وفقها.
٤- اعتمد القائلون بعدم حجّيّة تفسير القرآن بالقرآن على مجموعة من التقريبات الضعيفة التي يمكن ردّها بأدنى تأمّل.
٥- من تطبيقات منهج تفسير القرآن بالقرآن: إرجاع المتشابهات إلى المحكمات، الجمع بين الآيات المطلقة والمقيّدة، الجمع بين العامّ والخاصّ، توضيح الآيات المجملة بواسطة الآيات المبيّنة، الاستفادة من سياق الآيات، تحديد معاني الاصطلاحات القرآنية بالاستعانة بالآيات الأخرى، جمع الآيات الناسخة والمنسوخة، الالتفات إلى الآيات المشابهة، ...
٦- من أبرز التفاسير التي تعتمد منهج تفسير القرآن بالقرآن: الميزان في تفسير القرآن، تفسير المنار، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنّة، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، التفسير القرآني للقرآن، تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، تفسير تسنيم، مفاهيم القرآن، معارف القرآن،...

✓ الاسئلة القومية.

١- عرّف منهج تفسير القرآن بالقرآن، مبيّناً دوره في عمليّة التفسير؟.
٢- ما هي أبرز الأدلّة على حجّيّة تفسير القرآن بالقرآن؟
٣- اذكر ثلاثة نماذج من تطبيقات منهج تفسير القرآن بالقرآن؟

✓ **قراءة في تفسير الفرقان.**[١]

هذا التفسير من تأليف الشيخ محمّد الصادقيّ الطهرانيّ (معاصر)، وقد تمّ تأليفه خلال السنوات (١٣٩٧ - ١٤٠٧هـ.ق)، وكان بصورة محاضرات يلقيها على طلبة العلوم الدينيّة في الحوزتين العلميتين في النجف الأشرف وقم المقدّسة.

وهو تفسير جامع شامل، اتّخذ منهج تفسير القرآن بالقرآن حسب الإمكان، وهو تحليليّ تربويّ اجتماعيّ، مع الاستناد إلى أحاديث يراها صحيحة، وأخرى ملائمة مع ظواهر القرآن، ولذا احترز عن الإسرائيليّات بشكل قاطع، وكذا عن الأحاديث الموضوعة والضعيفة.

وبما أنّ المؤلّف يُعدّ من الفقهاء، فإنّ في تفسيره الشيء الكثير من التعرّض إلى مسائل الفقه والأحكام بصورة مبسّطة، وهكذا تجده يفصّل في المسائل الكلاميّة الاعتقاديّة في نزاهة، كما ويجتنّب تحميل القرآن نظريّات العلم الحديث، ويرى أنّ القرآن في غنىً عن ذلك، اللهمّ إلّا إذا رُفع بذلك إبهام في إشارات عابرة جاءت في القرآن، على شرط أن تكون النظريّة ثابتة.

---

(١) انظر: معرفة/ التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ٢/١٠٢٧-١٠٢٨.

المحاضرة الرابعة
منهج تفسير القرآن بالسنّة
(التفسير بالمأثور)

✓ **أهداف المحاضرة.**

- ان من اهم اهداف المحاضرة هي: أن يكون المتلقي في نهاية المحاضرة قادر على أن:

١- يتعرّف إلى منهج تفسير القرآن بالسنّة ونشأته وأهمّيّته في البحث التفسيريّ.

٢- يدرك مكانة السنّة وأهميّتها في البحث التفسيريّ.

٣- يفهم نماذج من تطبيقات منهج تفسير القرآن بالسنّة.

✓ **تمهيد:**

تُعدّ طريقة تفسير القرآن بالسنّة الشريفة من أقدم الطرق والمناهج التفسيريّة وأكثرها شيوعاً في تفسير القرآن[١]. وهي أحد أقسام «**التفسير بالمأثور**» أو «**التفسير النقليّ**»[٢]. ولهذا المنهج مكانة خاصّة بين المناهج التفسيريّة، وكان دائماً محطّ اهتمام المفسِّرين.

✓ **تعريف منهج تفسير القرآن بالسنّة.**

هو الطريق الذي يسلكه المفسّر في عمليّة التفسير، من خلال الاستفادة ممّا ورد في سُنَّة النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام من فعل أو قول أو تقرير بصدد تفسيرهم للقرآن الكريم، بغية الكشف عن معاني القرآن الكريم ومقاصده[٣].

✓ **نشأة منهج تفسير القرآن بالسنّة وتاريخه.**

يمكن تقسيم المراحل التاريخية التي مرّ بها تفسير القرآن بالسنّة إلى ثلاث مراحل، هي الآتية:

---

(١) انظر: الرضائي: مناهج التفسير واتّجاهاته، ص٩٣-١٤٤، معرفة: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ٥٤٣/٢-٧٩٨، السبحاني: المناهج التفسيريّة، ص١٥٨-١٦٢.

(٢) انظر: معرفة: التفسير والمفسّرون، ٥٣٩/٢-٥٤٤.

(٣) انظر: المصدر السابق: ص٩٥.

المرحلة الاولى: عصر النبيّ صلى الله عليه وآله.

يمكن عدّ هذا المنهج من أوائل المناهج التفسيريّة التي نشأت مقارنة لنزول الوحي القرآنيّ، لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله هو أوّل مُفسِّر ومُبيِّن للقرآن، وقد جاء الأمر الإلهيّ بهذا الخصوص في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1]. وكان دأب الناس في عصر الرسالة أن يرجعوا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله في تفسير القرآن ويأخذوا منه معانيه.

المرحلة الثانية: عصر أهل البيت عليهم السلام.

استمرّت طريقة تفسير القرآن بالسنّة إلى عصر الأئمّة عليهم السلام، حيث تصدّى أهل البيت عليهم السلام لتفسير القرآن لاطّلاعهم على العلوم الإلهيّة، وكونهم استمراراً للبيان الرساليّ الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وآله، ولذا عدّت سنّتهم (قولهم وفعلهم وتقريرهم) من مصادر التفسير صلى الله عليه وآله. وقد وصل عدد الروايات المرويّة عنهم عليهم السلام إلى بضعة آلاف رواية.

سأل رجل الإمام الرضا عليه السلام، فقال: إنّك لتفسِّر من كتاب الله ما لم يُسمع. فقال: «**علينا نزل قبل الناس، ولنا فُسِّر قبل أن يُفسَّر في الناس، فنحن نعرف حلاله وناسخه ومنسوخه و..**»[2]. وعنه - أيضاً - عليه السلام: «**فإنّما على الناس أن يقرؤوا القرآن كما أُنزل، فإذا احتاجوا إلى تفسيره فالاهتداء بنا وإلينا**»[3].

وقد حظيت الروايات التفسيريَّة للنبيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام باهتمام الصحابة والتابعين، فكانوا يفسّرون القرآن للناس بالاستناد إلى هذه الروايات التي جُمعت فيما بعد بصورة تدريجيَّة ضمن كتب ومصنّفات تفسيريّة منسوبة

(١) سورة النحل/ الآية ٤٤.

(٢) الصفّار: بصائر الدرجات، ٢١٨/٣.

(٣) الكوفي، فرات بن إبراهيم: تفسير فرات الكوفي، تحقيق: محمد الكاظم، ط١، طهران، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١٠هـ.ق/ ١٩٩٠م، تفسير سورة طه، ح٣٥١، ص٢٥٨.

إلى الصحابة والتابعين، كتفسير ابن عباس، وتفسير القمّيّ، وتفسير العياشيّ.

المرحلة الثالثة: عصر التدوين.

انَّ أوّل مدوّنة تفسيريّة بالسنّة هو الكتاب المنسوب إلى الإمام عليّ عليه السلام، والّذي ورد على شكل رواية مفصّلة في بداية تفسير النعماني.

وهناك كتاب آخر، هو مصحف الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، الّذي جاء فيه تأويل القرآن والتفسير وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ، وهو مرتّب على حسب النزول، وإن كان هذا الكتاب ليس في متناول أيدينا الآن.

ثمّ التفسير المنسوب إلى الإمام الباقر عليه السلام (٥٧-١١٤هـ) المعروف بتفسير عليّ بن إبراهيم القمّي المنقول عن طريق أبي حمزة الثمالي وأبي الجارود، والتفسير المنسوب إلى الإمام الصادق عليه السلام (٨٣-١٤٨هـ)، وتفسير فرات الكوفي (كان حيّاً في سنة ٣٠٧هـ)، والتفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه السلام (٢٣٢-٢٦٠هـ).

وقد جمعت الروايات الفقهيّة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام في مجاميع روائية، مثل: الكافي، ومن لا يحضره الفقيه، والتهذيب، والاستبصار، كما دُوِّن في هذا الوقت تفسير جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري (ت ٣٢٠هـ)، وكذلك الصحاح الستّة لأهل السنّة.

ثمّ واجهت حركة تدوين التفاسير ركوداً نسبيّاً من القرن الخامس إلى التاسع الهجريّ، فيما برزت التفاسير العقليّة والاجتهاديّة.

وفي عصر كتابة التفاسير الجديدة، برز الاهتمام بالروايات التفسيريّة والّتي عادة ما تُبحث خلال التفسير أو بصورة منفصلة، كما فعل العلّامة الطباطبائي، حيث يذكر البحث الروائيّ بعد كلّ مجموعة من الآيات.

ملاحظة: لم تسلم الروايات التفسيريّة في عصر التدوين والجمع من ظاهرة الوضع، ووجود الإسرائيليات وتسلّل بعض الروايات الضعيفة، وهذا ما يستوجب الحذر والدقّة عند الاستفادة من بعض الكتب الروائيّة.

✓ **مكانة السنّة في التفسير.**

يمكن تقسيم آراء العلماء حول مكانة السنّة في التفسير، وحدود الاستفادة منها، إلى ثلاثة آراء، هي الآتية:

١- **استقلال القرآن وعدم احتياجه إلى السنّة في التفسير مطلقاً:** ومنشأ هذا الرأي هو أنّ القرآن نزل بلسانٍ عربيّ مبين، وأنّ العقل يكفي لفهم القرآن ولا يحتاج إلى الأحاديث لتفسيره.

وهذا الرأي يتعارض مع ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[١]، وكذا حديث الثقلين، ويمكن أن يقال إنّ الجذور التأريخية لهذا الرأي ترجع إلى شعار «**حسبنا كتاب الله**»، الّذي رُفع في عصر النبيّ صلى الله عليه وآله والّذي أصرّ على فصل القرآن عن أهل البيت عليهم السلام.

٢-**عدم جواز تفسير القرآن مطلقاً إلّا بالسنّة:** وهو الرأي المتطرّف المنسوب إلى الأخباريين الذين ادّعوا عدم جواز فهم القرآن إلّا بالرجوع إلى السنّة[٢].

٣-**اتّخاذ السنّة وسيلة وقرينة لتفسير آيات القرآن:** وهو الرأي المعتدل الذي يرى في السنّة قرائن لتفسير القرآن، وأدوات لتوضيح معاني الآيات ومقاصدها، كما هو الحال بالنسبة إلى القرائن العقليّة وآيات القرآن.

والقول الأخير هو الصحيح والأوفق بالجمع بين ما ورد في القرآن من أنّه نور ومبين، وبين ما ورد في القرآن والسنّة من ضرورة الاستعانة بالسنّة في فهم القرآن الكريم.

---

(١) سورة النحل/ الآية ٤٤.

(٢) تقدّم الكلام في هذا الرأي ومناقشته في المحاضرة السابقة.

أضف إلى ذلك أنّه لا يمكن فهم المعاني العالية للقرآن إلّا بالرجوع إلى السنّة الشريفة، لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام هم الأعرف بمقاصد القرآن العالية، بما لا يمكن لبقية الناس فهمها وإدراكها من دونهم عليهم السلام، وليس ذلك في كل معاني القرآن ومعارفه، فمن المعارف والمعاني القرآنية ما يمكن الحصول عليه من خلال القرائن غير السنّة، مع كون السنّة مؤيّدة لها.

✓ **تطبيقات منهج تفسير القرآن بالسنّة:** هناك كثير من الامثلة التطبيقية منها:

المثال الاول: تفسير آية وتوضيحها: مثال: قوله تعالى: ﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[1]، حيث ورد في الروايات المأثورة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام أنّ المراد بالاستطاعة: الزاد والراحلة[2].

المثال الثاني: تطبيق الآية على مصداق خاصّ: مثال: قوله تعالى: ﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[3] ي تحديد كفّارة اليمين، حيث ورد في الروايات المأثورة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، ومنها: ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**كفّارة اليمين يطعم عشرة مساكين لكلّ مسكين مدّ من حنطة، أو مدّ من دقيق وحفنة (ملء الكف)، أو كسوتهم لكلّ إنسان ثوبان، أو عتق رقبة، وهو في ذلك بالخيار أيّ الثلاثة صنع، فإن لم يقدر على واحدة**

(١) سورة آل عمران/ الآية ٩٧.

(٢) انظر: الكليني: الكافي، ٢٦٦/٧-٢٦٨.

(٣) سورة المائدة/ الآية ٨٩.

من الثلاثة، فالصيام عليه ثلاثة أيام»[١].

المثال الثالث: بيان جزئيات الأحكام: كتخصيص عموم آية بالرواية، مثال: قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾[٢]، حيث ورد في الروايات المأثورة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام أنّ الكافر والقاتل لا يرثان[٣]، منها: ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**المسلم يحجب الكافر ويرثه، والكافر لا يحجب المؤمن ولا يرثه**»[٤]، وعنه عليه السلام - أيضاً -: «**أيّما رجل ذو رحم قتل قريبه لم يرثه**»[٥].

المثال الرابع: تقييد آية برواية: مثال: قوله تعالى: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾[٦]، حيث ورد في الروايات المأثورة عن عن أهل بيت العصمة عليهم السلام عدم نفاذ الوصية في أكثر من الثلث، منها: ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**الميت أحق بماله ما دام فيه الروح يبين به، نعم، فإن أوصى به، فإن تعدّى، فليس له إلّا الثلث**»[٧].

المثال الخامس: توضيح العناوين التكليفية الخاصّة التي ذكرها القرآن: مثال: الحقيقة الشرعيّة لمصطلح الصلاة الوارد في القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾[٨]، حيث ورد في الروايات

---

(١) المصدر السابق نفسه: ٤٥١/٧-٤٥٢، وانظر: ح٢-١٤، ص٤٥٢-٤٥٤.

(٢) سورة النساء/ الآية ١١.

(٣) انظر: المصدر نفسه: ١٤٠/٧-١٤٢، باب ميراث أهل الملل، ح١-٦، ص١٤٢-١٤٣.

(٤) المصدر نفسه: باب ميراث أهل الملل، ١٤٣/٧.

(٥) المصدر نفسه: ١٤٠/٧.

(٦) سورة النساء/ الآية ١٢.

(٧) المصدر السابق نفسه: ٧/ ٧-٩، باب ما للإنسان أن يوصي به...، ح١-٧، ص١٠-١١.

(٨) سورة النساء/ الآية ١٠٣.

المأثورة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام بيان كيفيّة الصلاة بلحاظ الأفعال والأقوال الخاصّة بها، منها: ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**صلّوا كما رأيتموني أصلّي**»[١].

المثال السادس: بيان موضوعات الأحكام: مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللّهِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[٢]، حيث ورد في الروايات المأثورة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام تحديد موضوع قتل العمد وقتل الخطأ، منها: ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**العمد كلّ ما اعتمد شيئاً فأصابه بحديدة أو بحجر أو بعصا أو بوكزة فهذا كلّه عمد. والخطأ من اعتمد شيئاً فأصاب غيره**»[٣].

المثال السابع: بيان الآيات الناسخة والمنسوخة: مثل قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مِّن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً * وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا * إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٤]، حيث ورد في الروايات المأثورة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام أنّ حكمها منسوخ بقوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٥]، منها: ما رواه أبو بصير

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار، ٢٧٩/٨٢.

(٢) سورة النساء/ الآيتان ٩٢-٩٣.

(٣) الكليني: الكافي، ٢٧٨/٧، وانظر: ح١، ٣-١٠، ص٢٧٨-٢٨٠.

(٤) سورة النساء/ الآية ١٥.

(٥) سورة النور/ الآية ٢.

عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: سألته عن هذه الآية ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ (قال): «**هذه منسوخة**»، قال: قلت: كيف كانت؟ قال: «**كانت المرأة إذا فجرت فقام عليها أربعة شهود أدخلت بيتاً ولم تحدّث ولم تكلّم ولم تجالس وأوتيت فيه بطعامها وشرابها حتّى تموت**»، قلت: فقوله: ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾، قال: «**جعل السبيل الجلد والرجم والإمساك في البيوت**»[1].

المثال الثامن: بيان سبب النزول وشأن النزول.

المثال التاسع: تأويل الآيات: مثال: قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾[2]، حيث روى الحسين بن خالد عن الإمام الرضا عليه السلام في صدد تفسيره للآية: قلت: ﴿وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾، قال عليه السلام: «السماء رسول الله صلى الله عليه وآله رفعه الله إليه، والميزان أمير المؤمنين عليه السلام صبه لخلقه»، قلت: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ قال عليه السلام: «**لا تعصوا الإمام**»، قلت ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ قال عليه السلام: «**أقيموا الإمام بالعدل**»، قلت: ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ قال عليه السلام: «**لا تبخسوا الإمام حقّه ولا تظلموه**»[3].

✓ **أبرز التفاسير التي تعتمد منهج تفسير القرآن بالسنّة:**

هناك عدد من التفاسير التي تعتمد هذا المنهج من اهمها:

١- تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي (ت:٣٠٧هـ.ق).

٢- تفسير فرات الكوفي: فرات بن إبراهيم الكوفي (كان حيّاً سنة ٣٠٧هـ.ق).

---

(١) العياشي: تفسير العياشي، ١/٢٢٧-٢٢٨.

(٢) سورة الرحمن/ الآيات ٧-٩.

(٣) القمي، علي بن إبراهيم: تفسير القمي، تصحيح وتعليق وتقديم: طيب الموسوي الجزائري، لا.ط، النجف الأشرف، مطبعة النجف الأشرف، منشورات مكتبة الهدى، ١٣٨٧هـ.ق، ٢/٣٤٣.

٣- تفسير العيّاشي: محمد بن مسعود العياشي (ت: حوالي ٣٢٠هـ.ق).
٤- تفسير النعماني: محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني (ت: ٣٤٢هـ.ق).
٥- تفسير الصافي: محمد بن مرتضى (الفيض الكاشاني) (١٠٠٧-١٠٩١هـ.ق).
٦- تفسير البرهان: هاشم الحسيني البحراني (ت: ١١٠٧هـ.ق).
٧- تفسير نور الثقلين: علي بن جمعة الحويزي (ت: ١١١٢هـ.ق).
٨- جامع البيان: محمد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ.ق).
٩- الدّر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدِّين السيوطي (ت: ٩١١هـ.ق).
١٠- تفسير ابن كثير: إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ.ق).
١١- تفسير ابن عطيّة: عبد الحقّ بن غالب بن عطيّة الأندلسي (ت: ٤٨١ هـ.ق).

✓ **بيان المفاهيم الرئيسة.**

١- منهج تفسير القرآن بالسنّة هو طريق يسلكه المفسّر في عمليّة التفسير، من خلال الاستفادة ممّا ورد في سُنَّة النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام من فعل أو قول أو تقرير بصدد تفسيرهم للقرآن الكريم، بغية الكشف عن معاني القرآن الكريم ومقاصده.
٢- يمكن تقسيم المراحل التاريخية التي مرّ بها تفسير القرآن بالسنّة إلى ثلاث مراحل، هي الآتية: عصر النبيّ صلى الله عليه وآله، عصر أهل البيت عليهم السلام، عصر التدوين.
٣- يمكن تقسيم آراء العلماء حول مكانة السنّة في التفسير، وحدود الاستفادة منها، إلى ثلاثة آراء، هي الآتية: استقلال القرآن وعدم احتياجه إلى السنّة في التفسير مطلقاً، عدم جواز تفسير القرآن

مطلقاً إلّا بالسنّة، اتّخاذ السنّة وسيلة وقرينة لتفسير آيات القرآن، وهو القول الصحيح.

٤- من تطبيقات منهج تفسير القرآن بالسنّة: تفسير آية وتوضيحها، تطبيق الآية على مصداق خاصّ، بيان جزئيات الأحكام، تقييد آية برواية، توضيح العناوين التكليفية الخاصّة التي ذكرها القرآن، بيان موضوعات الأحكام، بيان الآيات الناسخة والمنسوخة، بيان سبب النزول وشأن النزول، تأويل الآيات، ...

٥- أبرز التفاسير التي تعتمد منهج تفسير القرآن بالسنّة: تفسير القمي، تفسير فرات الكوفي، تفسير العيّاشي، تفسير النعماني، تفسير الصافي، تفسير البرهان، تفسير نور الثقلين، جامع البيان، الدّر المنثور في التفسير بالمأثور، تفسير ابن كثير، تفسير ابن عطيّة، ...

✓ **الاسئلة التقومية.**

١- عرّف منهج تفسير القرآن بالسنّة، مبيّناً أهمّيّته في عمليّة التفسير؟

٢-اذكر أبرز الأقوال في بيان مكانة السنّة في التفسير، مبيّناً القول الصحيح؟

٢- اذكر ثلاثة نماذج من تطبيقات منهج تفسير القرآن بالسنّة؟

✓ **قراءة في تفسير البرهان.**[1]

هذا التفسير من تأليف السيّد هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسينيّ البحرانيّ الكتكانيّ (ت: ١١٠٧هـ.ق).

يعتمد المفسّر في تفسيره كتباً، أمثال: التفسير المنسوب إلى الإمام

(١) انظر: معرفة: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب٢/٧٨٤-٧٨٦.

العسكري عليه السلام، وهذا التفسير غير جامع للآيات، وإنّما تعرّض لآيات جاء في ذيلها حديث، ولو في شطر كلمة. ومن ثمّ فهو تفسير غير كامل، فضلاً عن ضعف الأسانيد وإرسالها، ووهن غالبيّة الكتب التي اعتمدها، كما هو خال عن أيّ ترجيح أو تأويل، عند مختلف الروايات، ولدى تعارض بعضها مع بعض.

بدأ المؤلّف تفسيره بمقدّمة يذكر فيها فضل العلم والمتعلّم، وفضل القرآن، وحديث الثقلين، والنهي عن تفسير القرآن بالرأي، وأنّ للقرآن ظاهراً وباطناً، وأنّه مشتمل على أقسام من الكلام، وما إلى ذلك. وثمّ بعد المقدّمات بمطلع جاء في مقدّمة التفسير المنسوب إلى عليّ بن إبراهيم القمّيّ، من ذكر أنواع الآيات وصنوفها، حسبما جاء في التفسير المنسوب إلى محمّد بن إبراهيم النعمانيّ، وهي رسالة مجهولة النسب لم يُعرف مؤلّفها لحدّ الآن. وبعد ذلك يرد في تفسير الآيات حسب ترتيب السور، فيذكر الآية أوّلاً، ثمّ يعقّبها بما ورد في شأنها من حديث مأثور عن أحد الأئمّة المعصومين عليهم السلام، من غير ملاحظة ضعف السند أو قوّته، أو صحّة المتن أو سقمه.

وهذا التفسير بحاجة إلى تمحيص ونقد وتحقيق، ليمتاز سليمه عن السقيم، والصحيح المقبول عن الضعيف الموهون.

المحاضرة الخامسة
المنهج العقليّ في تفسير القرآن الكريم

✓ **أهداف المحاضرة**

- **ان من اهم اهداف المحاضرة هي: أن يكون المتلقي في نهاية المحاضرة قادر على أن:**

١- يتعرّف إلى المنهج العقليّ في تفسير القرآن ونشأته وأهمّيّته في البحث التفسيريّ.

٢- يناقش أدلّة القائلين بحجيّة المنهج العقليّ في التفسير أو عدمها.

٣- يفهم معايير التفسير العقليّ والاجتهاديّ نظرياً وتطبيقياً.

✓ **تمهيد:**

يحظى منهج التفسير العقليّ بمنزلة خاصّة بين مناهج التفسير، وقد اتّخذت المذاهب الكلاميّة (الشيعة، المعتزلة، الأشاعرة...) بإزاء هذا المنهج مواقف مختلفة، وقد يطلق عليه في بعض الأحيان منهج التفسير الاجتهاديّ، وقد يُذكر كأحد أقسام منهج التفسير بالرأي[١]، وقد يُنظر إليه بنظرة مساوية للاتّجاه الفلسفيّ في التفسير[٢].

✓ **تعريف المنهج العقليّ في تفسير القرآن**

المنهج العقلي في التفسير: هو الطريق الذي يسلكه المفسّر في عمليّة التفسير، من خلال الاستعانة بالعقل البرهانيّ أو القرائن العقليّة القطعيّة، بغية الكشف عن معاني القرآن الكريم ومقاصده.

وقد عمّمه البعض إلى الاستفادة من قوّة الفكر في الجمع بين الآيات والروايات والقرائن اللغوية وغيرها في عملية الاستنباط العقليّ، بهدف توضيح آيات

(١) انظر: الذهبي: محمّد حسين: التفسير والمفسّرون، ط٢، دار الكتب الحديثة، ١٩٧٦م، ٢٥٥/١، العكّ: أصول التفسير وقواعده، ص١٦٧.

(٢) انظر: الرضائي: مناهج التفسير واتّجاهاته، ص١٥١-١٨٩، معرفة: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ٨٠١/٢-٨٠٤، ٨٤٩-٩٠٠، السبحاني: المناهج التفسيريّة، ص٧٧-٩١.

القرآن وفهم مقاصده. وهذا التعميم غير دقيق، لأنّ ما ذُكِرَ هو المنهج الاجتهاديّ الاستنباطيّ، وليس المنهج العقليّ الذي يقع في مقابل المناهج الأخرى (منهج تفسير القرآن بالقرآن/ منهج تفسير القرآن بالسنّة/...)، كما أنّ الاستنباط العقليّ ليس قسيماً لهذه المناهج، بل هو مستخدم في كلّ منها[١].

ولعلّ هذا الالتباس حصل بسبب الخلط في وظائف العقل، فإنّ للعقل وظيفتين:

- وظيفة الكشف، وهي ما يقوم بها المنهج الاجتهاديّ من خلال قوّة التحليل والتركيب والاستنتاج.
- وظيفة توليد المعرفة، وهي التي يقوم بها المنهج العقليّ من خلال الاستعانة بالقضايا العقليّة البرهانيّة.

✓ **نشأة المنهج العقليّ ومراحل تطوّره.**

ظهر منهج التفسير العقليّ في وقتٍ مبكّر مع النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام في ما كانوا يفسّرونه للناس من آيات، ولا سيّما التي تتناول الذات الإلهيّة والتوحيد والصفات والأفعال، بالاستناد إلى البراهين والقرائن العقليّة القطعيّة.

فعن هشام بن المشرقي عن أبي الحسن الخراساني (الرضا) عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله كما وصف نفسه أحد صمد نور»، ثمّ قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[٢]، فقلت له: أفله يدان هكذا - وأشرت بيدي إلى يده - قال: «**لو كان هكذا كان مخلوقاً**»[٣]. ففي هذا الحديث استفاد الإمام عليه السلام من العقل في تفسير الآية، ونفي اليد المادّية عن الله سبحانه وتعالى، لأنّ وجود مثل هذه اليد يستلزم

(١) انظر: المصدر نفسه: ص١٥٢-١٥٥.

(٢) سورة المائدة/ الآية ٦٤.

(٣) العياشي: تفسير العياشي، ٣٣٠/١.

الجسمانيّة والمخلوقيّة لله، وهو سبحانه منزّه عن هذه الصفات (فالمقصود من اليد هنا هو القدرة الإلهيّة).

ووصل هذا المنهج إلى أوج تطوّره فيما بعد على يد المعتزلة، وظهرت عند الشيعة تفاسير عقلية، مثل: تفسير التبيان للشيخ الطوسيّ (٣٨٥-٤٦٠هـ)، ومجمع البيان للطبرسيّ (ت: ٥٤٨هـ)، وكذلك التفسير الكبير للفخر الرازي عند أهل السنّة، وقد بلغ هذا التطوّر مدىً بعيداً في تفسير الميزان للعلّامة الطباطبائيّ عند الشيعة وروح المعاني للآلوسيّ (ت: ١٢٧٠هـ).

✓ **أدلّة القائلين بحجّيّة المنهج العقليّ في التفسير.**

استدلّ القائلون بحجّيّة المنهج العقليّ في التفسير بأدلّة عدّة، أبرزها الآتية:

اولاً: آيات القرآن الكريم: وردت آيات كثيرة في القرآن تحثّ على إعمال التفكّر والتدبّر والتأمّل، منها: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[٣]، وكذلك وردت آيات تذمّ المعرضين عن ذلك، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٤]. فإذا لم يكن للعقل اعتبار ومنزلة عند الله تعالى، فإنّ هذه الخطابات ستُصبح حينئذٍ عديمة الفائدة وبدون معنى، وما نتيجة التدبّر والتفكّر في آيات الله إلّا التفسير العقليّ والاجتهاديّ.

ب- الروايات:

وردت روايات كثيرة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام تحثّ على الاهتمام بالعقل

(١) سورة الأنبياء/ الآية ١٠.
(٢) سورة يوسف/ الآية ٢.
(٣) سورة القمر/ الآية ١٧.
(٤) سورة محمّد/ الآية ٢٤.

وتعدّه حجّة باطنة، منها: ما رواه هشام بن الحكم عن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال: (**يا هشام إنّ لله على الناس حجتين: حجّة ظاهرة وحجّة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمّة عليهم السلام، وأمّا الباطنة فالعقول**)[1].

فإذا كان العقل حجّة باطنة، وجب أن يكون الشيء الّذي يُدركه ويحكم به بصورة قطعيّة، حجّة على الإنسان، وواجب الاتّباع، وإلّا فإنّ الحجيّة تصبح لا معنى لها.

ثانياً: السيرة العمليّة: جرت سيرة المعصومين عليهم السلام على استخدام هذا الطريق في تفسير القرآن، وهناك نماذج من هذا المنهج في أقوال الأئمّة عليهم السلام، كما تقدّم في الرواية الواردة عن الإمام الرضا عليه السلام. وقد تبعهم في ذلك المتشرّعة من الصحابة والتابعين، وكذلك كبار المفسّرين من المتقدّمين والمتأخّرين.

ثالثاً: سيرة العقلاء: إنّ سيرة العقلاء في التفسير الاجتهاديّ، قائمة على أساس التمسّك بظاهر كلام المتكلّم، واستخراج مقاصده ومعاني كلامه عن طريق القواعد الأدبيّة، والدلالات اللفظية والقرائن الموجودة.

١- إنّ الشارع لم يمنع عن هذه الطريقة العقلائيّة ولم يخترع طريقة جديدة في التعامل.

٢- نستنتج من عدم ردع الشارع إمضاءه لها، بل إنّ الشارع قد جرى على هذه السيرة.

رابعاً: قلّة الروايات التفسيريّة: انَّ هذه التي وردت في تفسير آيات القرآن، وتطبيق بعضها على موارده الخاصّة يحتاج إلى إعمال فكر وتأمّل دقيق.

خامساً: فهم بعض الآيات: من قبيل آيات العرش والكرسيّ... يحتاج إلى تفكّر وتأمّل دقيق يستعان فيه بالقرائن العقلية للوصول إلى فهم المراد من دون

(١) الكليني: الكافي، ١٦/١.

الوقوع في الخطأ.

✓ **أدلّة القائلين بعدم حجّيّة المنهج العقليّ في التفسير.**

ذهب بعض العلماء إلى عدم جواز الاعتماد على هذا المنهج في التفسير متمسّكاً بجملة من التقريبات والأدلّة أبرزها الآتية:

أولاً: ما ورد من روايات تنهى عن التفسير بالرأي وبالقياس، منها ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: **(إنّ أصحاب المقائيس طلبوا العلم بالمقائيس، فلم تزدهم المقائيس من الحقّ إلا بعداً، وإنّ دين الله لا يصاب بالمقائيس)**[1].

ثانياً: لو كان العقل كافياً، لما احتاج الناس إلى الوحي والأنبياء عليهم السلام، وفي مقام الجواب عن هذه التقريبات، يمكن القول:

ثالثاً: إنّ هذه الروايات واردة في مورد النهي عن التفسير بالرأي الذي يهمل النظر إلى القرائن المختلفة والآيات الأخرى والروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام، وأمّا المنهج العقليّ والاجتهاديّ، فإنّه لا ينطلق من الأهواء والآراء الشخصيّة للمفسّر ويهمل هذه القرائن في عملية التفسير. فالعقل -كما تقدّم- له وظيفتان: الكشف والتوليد، فالكشف يتقوّم من خلال القوّة العقلية التي تقوم بالترتيب والتجزئة والتحليل والتركيب والاستنتاج لمعطيات ومقدّمات من القرآن أو الروايات أو... فيكشف عنها ولا ينتجها. والتوليد، هو أن يقوم العقل البرهانيّ بإنتاج معرفة وتوليدها بالاستناد إلى مقدّمات عقلية يقينية موافقة لمعطيات الوحي القرآنيّ والروائيّ.

رابعاً: ما ذُكِرَ بالنسبة لعدم كفاية العقل لهداية الإنسان، هو أمر لا ينكره أحد من أصحاب المنهج العقليّ، لأنّ العقل يدرك في مجال الأحكام الشرعيّة أنّ وراء الأوامر والنواهي الإلهية مصالح ومفاسد، وقد يُدرك جزئيات هذه

(١) المصدر نفسه: ٥٦/١، وانظر: ح١، ٩، ١١، ١٣-١٨، ٢٠، ص٥٤-٥٨، بحار الانوار، ٣١٥/٢.

المصالح والمفاسد، ولكن ليس على نحو الموجبة الكلّية، بل على نحو الموجبة الجزئية، وإذا ما قُدِّمت للعقل المقدّمات القطعيّة، فإنّه سيحكم بما حكم به الشرع. ولذلك، فإنّ العقل قادر على إدراك حقائق القرآن ومقاصده في ما لو توافرت لديه المقدّمات اليقينية والقطعية المطلوبة.

✓ **معايير التفسير العقليّ والاجتهاديّ.**

انَّ من اهم المعايير التي تعتمد في التفسير العقلي الاجتهادي هي:

١- الشروط المعتبرة في التفسير: من معرفة قواعد اللغة، وعلوم القرآن، وعلوم الحديث، وقواعد علم الأصول.

٢- القدرة على الاجتهاد في التفسير.

٣- الالتفات إلى القرائن العقلية والنقلية.

٤- عدم تحميل الآراء والنظريّات على القرآن.

٥- الاستفادة من البراهين والقرائن العقلية القطعيّة.

٦- الإلمام بقواعد الجمع العرفيّ والتعارض والترجيح.

تبصرة ولفت انتباه:

إنَّ المدار في حجية العقل عدة امور هي:

١- خصوص إفادته اليقين والقطع.

٢- المدار في القطع هو القطع النوعيّ بين العقلاء وليس بين آحاد العقلاء.

٣- في صورة تعارض حكم العقل القطعيّ مع ظهور الآية، تُوجَّه الآية بما يتناسب مع حكم العقل القطعيّ، وأساليب الكلام العربيّ، كالحمل على معنى مجازيّ له وجهه الاستعماليّ في لغة العرب.

✓ **تطبيقات منهج التفسير العقليّ.**

اولاً: التطبيق في القرائن العقليّة القطعيّة: مثال: قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[1]، فإنّ المعنى المتبادر من لفظ يد هو اليد الجسمانيّة، ولكنّ هذا المعنى يستحيل أن يُنسَب إلى الله تعالى، لأنّه يؤدّي إلى لزوم التجسيم بحقّه تعالى، وهو باطل بضرورة العقل. فينبغي أن نصرف المعنى الظاهر لليد والذي هو حقيقة لغويّة فيها، إلى معنى آخر يتوافق مع حكم العقل القطعيّ ببطلان التجسيم، بحيث يكون له وجه استعماليّ في لغة العرب، كمعنى القدرة الذي يكون حقيقة قرآنيّة في ما لو استخدمت اليد بحقّ الله تعالى.

ثانياً: التطبيق في البراهين العقليّة: إنّ القرآن يكشف للعقل عن مقدّمات عقلية يقينيّة، لو التفت إليها العقل لأنتج معرفة برهانيّة، فتكون الآيات واردة في مقام التأييد والإرشاد لحكم العقل، وليست في مقام التأسيس والإنتاج. ومن نماذج ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2].

تنطوي هذه الآية على دليل عقليّ يتألّف من مقدّمات ترشد بمجموعها العقل إلى الحكم باستحالة وجود شريك مع الله -تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً-، وقد صاغت الآية هذا الدليل وفق التالي:

أ- قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ﴾، أي افتراض وجود أكثر من إله مع الله - تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً -.

ب- لو فُرِضَ للعالم آلهة فوق الواحد، لكانوا مختلفين ذاتاً متباينين حقيقة.

---

(١) سورة الفتح/ الآية ١٠.

(٢) سورة الأنبياء/ الآية ٢٢.

ج- قوله تعالى: ﴿لَفَسَدَتَا﴾، لأنّ تباين حقائقهم يقضي بتباين تدبيرهم، فتتفاسد التدبيرات وتفسد السماء والأرض.

د- لكنّ النظام الجاري نظام واحد متلائم الأجزاء في غاياتها.

ه- النتيجة: فليس للعالم آلهة فوق الواحد، وهو المطلوب[١].

٢- قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٢]، اذ تشتمل هذه الآية على دليلين عقليين مستقلّين يتضمّنان مقدّمات يذعن لها العقل بحكم استحالة وجود أكثر من إله في الوجود. وهذان الدليلان هما:

الدليل الأوّل: قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾، وبيانه التالي:

أ- قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾، افتراض وجود أكثر من إله للوجود.

ب- لا يُتصوّر فرض تعدّد الآلهة إلا ببينونتها بوجه من الوجوه، بحيث لا تتّحد في معنى ألوهيّتها وربوبيّتها.

ج- معنى ربوبيّة الإله في شطر من الكون ونوع من أنواعه تفويض التدبير فيه إليه، بحيث يستقلّ في أمره، من غير أن يحتاج فيه إلى شيء غير نفسه، حتى إلى مَنْ فوّض إليه الأمر.

د- إنّ المتباينين لا يترشّح منهما إلّا أمران متباينان.

٣- قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾. لازم التباين أن يستقلّ

(١) انظر: الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ١٤/٢٦٦-٢٦٧.

(٢) سورة المؤمنون/ الآية ٩١.

كلّ من الآلهة بما يرجع إليه من نوع التدبير وتنقطع رابطة الاتّحاد والاتّصال بين أنواع التدابير الجارية في العالم، كالنظام الجاري في العالم الانسانيّ عن الأنظمة الجارية في أنواع الحيوان والنبات والبر والبحر والسهل والجبل والأرض والسماء وغيرها، وكلّ منها عن كلّ منها، وفيه فساد السماوات والأرض وما فيهنّ؛ لكنّ النظام الكونيّ ملتئم الأجزاء، متّصل التدبير.

النتيجة: ليس للعالم آلهة فوق الواحد، وهو المطلوب.

الدليل الثاني: قوله: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا ... وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾. وبيانه الآتي:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾، افتراض وجود أكثر من إله للوجود.

٢- إنّ التدابير الجارية في الكون مختلفة، منها: التدابير العرضية، كالتدبيرين الجاريين في البرّ والبحر، والتدبيرين الجاريين في الماء والنار، ومنها: التدابير الطولية التي تنقسم إلى تدبير عامّ كلّي حاكم، وتدبير خاصّ جزئيّ محكوم، كتدبير العالم الأرضيّ وتدبير النبات الذي فيه، وكتدبير العالم السماويّ، وتدبير كوكب من الكواكب التي في السماء، وكتدبير العالم المادّي برمّته، وتدبير نوع من الأنواع المادّيّة.

٣- بعض التدبير، وهو التدبير العام الكلّي يعلو بعضاً، بمعنى أنّه بحيث لو انقطع عنه ما دونه بطل ما دونه، لتقوّمه بما فوقه، كما أنّه لو لم يكن هناك عالم أرضيّ أو التدبير الذي يجري فيه بالعموم لم يكن عالم إنسانيّ ولا التدبير الذي يجري فيه بالخصوص.

٤- قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾. لازم ذلك أن يكون الإله الذي

يرجع إليه نوع عالٍ من التدبير عالياً بالنسبة إلى الإله الذي فوِّض إليه من التدبير ما هو دونه وأخصّ منه وأخسّ.

٥- استعلاء الإله على الإله محال، لأنّ الاستعلاء المذكور يستلزم عدم استقلال المستعلى عليه في تدبيره وتأثيره، إذ لا يجامع توقّف التدبير على الغير والحاجة إليه الاستقلال، فيكون السافل منها مستمدّاً في تأثيره محتاجاً فيه إلى العالي، فيكون سبباً من الأسباب التي يتوسّل بها إلى تدبير ما دونه لا إلهاً مستقلاً بالتأثير دونه.

النتيجة: ما فُرِضَ إلهاً هو غير إله، بل سبب يدبّر به الأمر، وهذا خلف[1].

✓ **أبرز التفاسير العقليّة والاجتهاديّة.**

إنَّ من ابرز التفاسير في المنهج العقلي الاجتهادي هي:

١- تفسير التبيان(١٠/١٠): الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ.ق).

٢- مجمع البيان في تفسير القرآن(١٠/١٠): الشيخ أبو الفضل الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ.ق).

٣- الميزان في تفسير القرآن(٢٠/٢٠): العلامة محمد حسين الطباطبائي (١٣٢١- ١٤٠٢هـ.ق).

٤- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل(٢٠/٢٠): الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (معاصر).

٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ.ق).

٦- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)(٣٠/٣٠): فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ.ق).

(١) انظر: الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ٦٢/١٥-٦٣.

٧- تفسير البحر المحيط: أبو حيّان الأندلسي (٦٥٤-٧٤٥هـ.ق).

✓ **بيان المفاهيم الرئيسة.**

١- المنهج العقليّ في تفسير القرآن هو طريق يسلكه المفسّر في عمليّة التفسير، من خلال الاستعانة بالعقل البرهانيّ أو القرائن العقليّة القطعيّة، بغية الكشف عن معاني القرآن الكريم ومقاصده.

٢- ظهر منهج التفسير العقليّ في وقتٍ مبكّر مع النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، ووصل إلى أوج تطوّره فيما بعد على يد المعتزلة والشيعة.

٤- استدلّ القائلون بحجّيّة المنهج العقليّ في التفسير بأدلّة عدّة، أبرزها الآتية: آيات القرآن الكريم، السنّة الشريفة، سيرة العقلاء، مع عدم ردع الشارع عنها، بل جريانه وفقها.

٥- ذهب بعض العلماء إلى عدم جواز الاعتماد على هذا المنهج في التفسير متمسّكاً بجملة من التقريبات الضعيفة، التي تزول بأدنى تأمّل.

٦- إنَّ من أبرز معايير التفسير العقلي الاجتهادي هي: (معرفة قواعد اللغة، وعلوم القرآن، وعلوم الحديث، وقواعد علم الأصول، والقدرة على الاجتهاد في التفسير، والالتفات إلى القرائن العقلية والنقلية، وعدم تحميل الآراء والنظريّات على القرآن، والاستفادة من البراهين والقرائن العقلية القطعيّة، والإلمام بقواعد الجمع العرفيّ والتعارض والترجيح).

٧- من تطبيقات منهج التفسير العقليّ: قرائن عقليّة قطعيّة، براهين عقليّة.

٨- من أبرز التفاسير العقليّة والاجتهاديّة: تفسير التبيان، مجمع البيان في تفسير القرآن، الميزان في تفسير القرآن، الأمثل في تفسير كتاب

الله المنزل، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب، تفسير البحر المحيط، وغيرهما)

✓ **أسئلة تقويمية:**

١- عرّف المنهج العقليّ في تفسير القرآن، مبيّناً أهمّيّته في عمليّة التفسير وضوابط استخدامه؟.

٢- اذكر أبرز الأدلّة على حجّيّة هذا المنهج في تفسير القرآن؟.

٣- اذكر أنموذجاً على تطبيق هذا المنهج في التفسير؟.

✓ **قراءة في تفسير التبيان**[1].

هذا التفسير من تأليف الشيخ أبي جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ).

هو تفسير حافل جامع، وشامل لمختلف أبعاد الكلام في القرآن، لغةً وأدباً، قراءةً ونحواً، تفسيراً وتأويلاً، فقهاً وكلاماً... بحيث لم يترك جانباً من جوانب هذا الكلام الإلهيّ الخالد، إلّا وبحث عنه بحثاً وافياً، في وجازة وإيفاء بيان.

وأمّا المنهج الذي سلكه في تفسير القرآن، فهو المنهج الصحيح الذي مشى عليه أكثر المفسّرين المتقنين، فيبدأ بذكر مقدّمات تمهيديّة، تقع نافعة في معرفة أساليب القرآن، ومناهج بيانه وسائر شؤونه، ممّا يرتبط بالتفسير والتأويل، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، ومعرفة وجوه إعجاز القرآن، وأحكام تلاوته وقراءته، وأنّه نزل بحرف واحد، والكلام عن الحديث المعروف: نزل القرآن على سبعة أحرف، والتعرّض لأسامي القرآن وأسامي سوره وآياته، وما إلى ذلك.

وأمّا صلب التفسير، فيبدأ بذكر الآية، ويتعرّض لغريب لغتها، واختلاف القراءة

(١) انظر: معرفة: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ٢/٨٤٩-٨٥٦.

فيها، ثمّ التعرّض لمختلف الأقوال والآراء وينتهي إلى تفسير الآية تفسيراً معنويّاً في غاية الوجازة والإيفاء، وهكذا يذكر أسباب النزول، والمسائل الكلامية المستفادة من ظاهر الآية، حسب إمكان اللغة والأدب الرفيع، كما يتعرّض للمسائل الخلافيّة في الفقه والأحكام، ومسائل الاعتقاد ونحوها، كلّ ذلك مع عفّ اللسان وحسن الأدب في التعبير.

المحاضرة السادسة
منهج التفسير الاشاري للقرآن الكريم

✓ **أهداف المحاضرة**

- **ان من اهم اهداف المحاضرة هي: أن يكون المتلقي في نهاية المحاضرة قادر على أن:**

١- يتعرّف إلى المنهج الإشاريّ في تفسير القرآن ونشأته.

٢- يفهم معايير التفسير الإشاريّ الصحيح وشروط استخدامه في البحث التفسيريّ.

٣- يعرف مراحل الحصول على البطون وتأويل الآيات نظرياً وتطبيقياً.

✓ **تمهيد:**

المنهج الإشاريّ: هو أحد المناهج القديمة في التفسير. وقد عُرِف بأسماء متنوّعة، مثل: التفسير الباطنيّ، والعرفانيّ، والصوفيّ، والشهوديّ، والرمزيّ، وكلّ من هذه الأسماء يشير إلى نوع خاصّ من هذا التفسير. وهناك اختلاف كبير في وجهات النظر بين المفسّرين والمحقّقين بالنسبة إلى هذا المنهج وأنواعه. فمنهم من ارتضى بعض أقسامه واستفاد منه، ومنهم من رفضه وعدّه من التأويل والباطن[١].

✓ **معنى المنهج الإشاريّ في التفسير.**

منهج التفسير الاشاري: هو طريق يسلكه المفسّر في عمليّة التفسير، من خلال الاستعانة ببعض الإشارات الخفيّة الموجودة في القرآن متجاوزاً في ذلك ظهور الألفاظ في القرآن إلى باطنها، بهدف توضيح نكتة في النصّ القرآنيّ لا يمكن الحصول عليها من خلال ظاهر اللفظ، بل على نحو دلالة الإشارة، علاقتها بالمعنى الظاهر علاقة تلازميّة غير بيّنة[٢].

---

(١) انظر: الرضائي: مناهج التفسير واتّجاهاته، ص٢٥٩-٢٩٤، معرفة: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ٩٣٩/٢-٩٩٨، السبحاني: المناهج التفسيريّة ص١٢٠-١٣٩.

(٢) انظر: المصدر نفسه: ص٢٦٠-٢٦١.

✓ **نشأة هذا المنهج وتاريخه.**

يرجع تاريخ بعض أقسام التفسير الإشاريّ، كالتفسير الباطنيّ، إلى صدر الإسلام، حيث يوجد في الروايات المأثورة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام ما يشير إلى هذه الطريقة في التفسير، وفق ما بات يُعرَف بروايات بطون القرآن[١].

وبذلك أصبح الطريق مفتوحاً لهذه الطريقة من التفسير وموضع قبول من قِبَل المسلمين، من منطلق أنّ القرآن له باطن عميق، ومعانٍ دقيقة، ويحتوي على الإشارات والكنايات.

أضف إلى ذلك دخول التراث الفلسفيّ اليونانيّ والشرقيّ إلى البيئة المعرفيّة الإسلاميّة، بفعل الترجمات التي حصلت لهذه الآثار إلى اللغة العربية منذ بداية القرن الثاني الهجريّ، ما أدّى إلى ظهور توجّهات تفسيريّة جديدة تعنى بالجانب التأويليّ والباطنيّ للآيات القرآنيّة.

وقد اعتنى بعض العرفاء والمتصوّفة ببعض الأنواع من التفسير الإشاريّ، مثل: التفسير الرمزيّ، والشهوديّ، والصوفيّ، والعرفانيّ، ودوّنوا كتباً متعدّدة في هذا المجال، وسلك كلّ واحد منهم طريقاً خاصّاً في تطبيق هذا المنهج، فوقع بعضهم في محذور التفسير بالرأي، وبعضهم راعى المعايير الصحيحة في اكتشاف بطون القرآن[٢].

✓ **أقسام منهج التفسير الإشاريّ.**

ينقسم التفسير الإشاريّ إلى أقسام مختلفة، فأحياناً يقسّم إلى تفسير

---

(١) انظر: الكليني، الكافي، ٢/٥٩٨-٥٩٩، الصفّار: بصائر الدرجات، ١/٥٣-٥٤، البرقي: أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن، تحقيق: جلال الدين الحسين يالمحدّث-، ط١، طهران، مطبعة رنكين، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٧٠هـ.ق/ ١٣٣٠هـ.ش، كتاب العلل، ح٥، ص٣٠٠، الإحسائي: عوالي اللئالي، ٤/١٠٧.

(٢) انظر: الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ١/٥، ٧، معرفة: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ٢/٥٢٦-٥٢٧.

إشاريّ نظريّ وفيضيّ، وأخرى إلى تفسير إشاريّ رمزيّ وشهوديّ. وهناك من قسّم التفسير الإشاريّ إلى باطنيّ غير صحيح وباطنيّ صحيح، وهو ما سيجري التقسيم على أساسه في ما يأتي:

أولاً: التفسير الإشاريّ الباطنيّ غير الصحيح: يقوم المفسّر في هذا القسم من التفسير الإشاريّ بتأويل آيات القرآن، بالاستفادة من الشهود الباطنيّ، أو تحميل النظريّات العرفانية المخالفة لظواهر القرآن، من دون مراعاة الضوابط المعتبرة للوصول إلى الباطن أو الاستفادة من القرائن النقلية أو العقلية. وهذه الطريقة من التفسير تنتهي بالمفسّر إلى الوقوع في محذور التفسير بالرأي المنهيّ عنه. ومن أبرز أنواع هذا القسم من المنهج الإشاريّ:

١- **التفسير الإشاريّ الشهوديّ (الفيضيّ):** حيث يقوم المفسّر فيه بالاستفادة من طريقة الكشف والشهود العرفانيّ، والتجليّات القلبية في عمليّة تفسير القرآن، متجاوزاً حدود ظواهر النصّ القرآنيّ. مثال: ذكر التستريّ في تفسيره الباطنيّ معنى «**بسم اللّه**»، فقال: «**الباء بهاء اللّه عزّ وجلّ، والسين سناء اللّه عزّ وجلّ، والميم مجد اللّه عزّ وجلّ، واللّه: هو الاسم الأعظم الذي حوى الأسماء كلها، وبين الألف واللام منه حرف مكنى غيب من غيب إلى غيب، وسرّ من سرّ إلى سرّ، وحقيقة من حقيقة إلى حقيقة. لا ينال فهمه إلّا الطاهر من الأدناس، الآخذ من الحلال قواماً ضرورة الإيمان**»[1].

٢- **منهج التفسير الإشاريّ (النظريّ):** حيث يقوم المفسّر فيه باستخدام المباني النظرية للعرفان النظريّ في عمليّة تفسير القرآن، متجاوزاً

(١) التستري: سهل بن عبد الله: تفسير التستري، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ١٤٢٣هـ.ق، ص٢٢.

حدود ظاهر النصّ القرآني، من دون أي قرينة عقلية أو نقلية على هذا التأويل. مثال: نُقل عن ابن عربيّ في الفتوحات المكّيّة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[1]، أنّه قال: «وأما نعلا موسى عليه السلام... فإنّه قال له ربّه: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾، فروينا أنّهما كانتا من جلد حمار ميت، فجمعت ثلاثة أشياء، الشيء الواحد، الجلد، وهو ظاهر الأمر، أي لا تقف مع الظاهر في كلّ الأحوال، والثاني البلادة، فإنّها منسوبة إلى الحمار، والثالث كونه ميتاً غير مذكّى، والموت الجهل. وإذا كنت ميتاً، لا تعقل ما تقول ولا ما يقال لك. والمناجى لا بد أن يكون بصفة من يعقل ما يقول ويقال له، فيكون حيّ القلب، فطناً بمواقع الكلام، غوّاصاً على المعاني التي يقصدها من يناجيه بها، فإذا فرغ من صلاته، سلّم على من حضر، سلام القادم من عند ربّه إلى قومه، بما أتحفه به»[2].

٣- **منهج التفسير الإشاريّ (الباطنيّ):** أنكر بعض أصحاب المنهج الإشاريّ ظواهر القرآن والشرع، وقالوا إنّ المقصود الحقيقيّ للقرآن هو الباطن فقط، بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك، فقالوا إنّ ظواهر العبادات والجنّة والنار إشارات إلى أسرار المذهب وأشخاص معيّنين (رؤسائهم). مثال: قالوا إنّ المقصود من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والمسجد الحرام أشخاص معيّنون (أئمّة الباطنية)، وإنّ معرفة الدِّين تكمن في معرفة ذلك الشخص.

---

(١) سورة طه/ الآية ١٢.

(٢) ابن عربي، محيي الدين: الفتوحات المكّيّة، تحقيق وتقديم: عثمان يحيى، تصدير ومراجعة: إبراهيم مدكور، لا.ط، القاهرة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٣٩٤هـ.ق/ ١٩٧٤م، ٢١٥/٣.

ويرد على هذه الطريقة في التفسير الآتي:

أ- أبرز ما يُؤخَذ على هذه الطريقة هو ابتناؤها على الأذواق والسلائق، بما أنّها أحاسيس شخصيّة، فإنّها تختلف حسب المذاقات ومعطيات الأشخاص ولا تتّفق على معيار عامّ شامل، حيث إنّهم يرون مذاقاتهم في فهم النصّ، إلهامات وإشراقات لمعت بها خواطرهم أو سوانح وردت عليهم حسب استعداداتهم في تلقّي الفيوضات من الملأ الأعلى. والإلهام والإلماع، إدراك شخصيّ بحت. وهي تجربة روحية وشخصيّة لا مستند لاعتبارها سوى عند صاحب التجربة فحسب.

ب- أنّها يمكن أن تشتمل على مصاديق إلهيّة وشيطانيّة، ومن الصعب تشخيص الحدود بين المكاشفات الإلهيّة والإلقاءات الشيطانيّة.

ج- أنّها حتّى لو كانت صحيحة وصادقة، فهي حجّة على أصحابها فقط، ولا يمكن تعميمها على غير من حصل له الكشف.

د- أنّ القرآن الكريم لم ينزل على فئة خاصّة من الناس فقط، ليفسّروه عن طريق مبانيهم العرفانية والصوفية، بل نزل لعموم الناس.

ه- أنّ هذه الطريقة خارجة عن حدود الدلالة اللفظيّة للقرآن، فهي ليست من باب التفسير، بل هي تحميل وإسقاط لآراء التصوّف والعرفان النظريّ ومبانيهما على آيات القرآن.

و- قلّما يتّفق أصحاب هذه الطريقة ولو في تفسير آية واحدة على نهج سويّ وعلى تأويل متوازن لا تعريج فيه.

ثانياً: منهج التفسير الباطنيّ الصحيح:

أشار بعض الأحاديث الصادرة عن الرسول صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام إلى أنّ للقرآن ظاهراً وباطناً، بل بطوناً متعدّدة، وهذا ما دعا بعض المفسّرين إلى الاهتمام

بباطن الآيات وتأويلها[١]، ومن نماذج التفسير الباطنيّ الصحيح وتطبيقاته:

١- في تفسير قوله تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[٢]، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**من حرقٍ أو غرقٍ**»، ثمّ سكت، ثمّ قال: «تأويلها الأعظم أن دعاها فاستجابت له»[٣].

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**من حرقٍ أو غرقٍ**»، قيل: فمن أخرجها من ضلال إلى هدى؟ قال: «**تأويلها الأعظم**»[٤]، فإنّ ظاهر الآية المتقدِّمة يتحدّث عن قتل الإنسان وإحيائه، فقتل أحدهم وإحياؤه، يعني قتل جميع البشر وإحياءهم، أمّا تأويلها (الباطنيّ) فهو أهمّ وأعظم، ويأتي ذلك عن طريق إلغاء الخصوصيّة (قتل الجسم المادّي وإحياؤه) والحصول على قاعدة كلّيّة تشمل كلّ أنواع الإحياء، فإذا ما نجا الإنسان من الضلال وهُدي إلى صراط مستقيم، فإنّ روحه سوف تحيا بروح الإيمان والاستجابة لدعوة الحقّ، ومثل هذا العمل يُعدّ إحياءً لجميع البشر.

٢-في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[٥]، فقد ورد عن عبد الله بن سنان، عن ذريح المحاربي قال: قلت لأبي

---

(١) ذكر المفسّرون للتأويل تقريبات عدّة، أبرزها:

١- هو المفهوم العام والشامل للآية وهو من قبيل المعاني الباطنية والمداليل الالتزاميّة غير البيّنة لها، بحيث تربطه بالمعنى الظاهري للآية علاقة أو مناسبة ما التأويل عند مشهور العلماء والمفسّرين من المتأخّرين.

٢-هو الحقيقة الواقعيّة العينيّة الخارجيّة التي تستند إليها البيانات القرآنيّة التأويل عند العلماء والمفسّرين من أتباع مدرسة الحكمة المتعالية.

(٢) سورة المائدة/ الآية ٣٢.

(٣) البرقي: المحاسن١/٢٣٢.

(٤) سورة الحج/ الآية ٢٩.

(٥) الكليني: الكافي، ٢/٢١٠-٢١١.

عبد الله عليه السلام: إنّ الله أمرني في كتابه بأمر فأحبّ أن أعمله، قال عليه السلام: «وما ذاك»؟ قلت: قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾، قال عليه السلام: ﴿لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ لقاء الإمام ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ «**تلك المناسك**»، قال: عبد الله بن سنان فأتيت أبا عبد الله عليه السلام، فقلت: جعلت فداك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾، قال عليه السلام: «**أخذ الشارب وقصّ الأظفار وما أشبه ذلك**»، قال: قلت: جعلت فداك إنّ ذريح المحاربيّ حدّثني عنك بأنّك قلت له: «﴿لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ لقاء الإمام ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ «تلك المناسك»، فقال عليه السلام: «صدق ذريح وصدقت، إنّ للقرآن ظاهراً وباطناً، ومن يحتمل ما يحتمل ذريح»؟!»[1].

٣-في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾[2]، حيث روى أبو بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾، قال: «الشمس، رسول الله صلى الله عليه وآله، أوضح الله به للناس دينهم». قلت: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾، قال: «**ذلك أمير المؤمنين**» عليه السلام. قلت: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾، قال: «**ذلك أئمّة الجور، الذين استبدّوا للأمر دون آل رسول الله صلى الله عليه وآله، وجلسوا مجلساً كان آل رسول الله صلى الله عليه وآله أولى به منهم، فغشوا دين رسول الله صلى الله عليه وآله، بالظلم والجور، وهو قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾، قال: «يغشى ظلمهم ضوء النهار»**، قلت: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾، قال: «**ذلك الإمام من ذرّيّة فاطمة عليها السلام، يُسأل عن دين رسول الله، فيجلى لمن يسأله**»[3].

---

(١) المصدر نفسه: ٥٤٩/٤.

(٢) سورة الشمس/الآيات ١-٤.

(٣) القمي: تفسير القمي، ٤٢٤/٢.

إنّ ما بيّنه الإمام عليه السلام من بطون للآيات لها نوع علاقة لغويّة مع المعنى الظاهريّ للآيات، فالشمس المادّيّة تجلي الظلمة المادّيّة وتكشفها عن الأشياء، حتى يبصر الناس أمور معاشهم ودنياهم، وكذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ببعثته كشف عن الناس ظلمتهم المعنوية، حتّى يبصروا أمور حياتهم الأخرويّة، فضلاً عن أمور معاشهم الدنيويّ. والقمر يتلو الشمس ويتبعها إمّا تبعيّة استكمال لوظيفتها في الكشف من خلال إنارته في الليل، وإمّا تبعيّة استمداد من خلال عكسه لنور الشمس في مغيبها وإنارتها لأهل الأرض، وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام هو يتلو رسول الله صلى الله عليه وآله تلو الإمامة للرسالة في وظيفة بيان أمور الدين للناس والأخذ بيدهم وإرشادهم في دنياهم وأخراهم، وهو أيضاً يتلو رسول الله صلى الله عليه وآله تلو استمداد، لأنّ الإمامة نشأت من رحم الرسالة المحمّديّة وورثتها.

✓ **معايير التفسير الإشاريّ الصحيح.**

توجد مجموعة من المعايير التي ينبغي للمفسّر وفق المنهج الإشاريّ أن يلتزم بها[1]، وهي الآتية:

١- الالتفات إلى ظاهر الآية وباطنها في آنٍ واحد.

٢- مراعاة المناسبة اللفظيّة القريبة بين ظاهر الكلام وباطنه.

٣- عدم منافاة التفسير الإشاريّ للأدلّة القطعية والآيات المحكمة في القرآن.

٤- عدم منافاة المفهوم للقرائن العقلية والنقلية القطعية.

٥- مراعاة الدقة في تحديد الخصوصية وانتزاع المفهوم العام.

٦- استخراج مفهوم عامّ وقاعدة كلّيّة من الآية، من خلال إلغاء الخصوصيّة، بحيث يكون المعنى الإشاريّ أحد مصاديق هذا المفهوم.

---

(١) انظر: الرضائي: مناهج التفسير واتّجاهاته، ص٢٨٧-٢٩٠، الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ٧/١، معرفة: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ٢٦/١-٣٠.

✓ **مراحل الحصول على البطون وتأويل الآيات.**

ان من اهم المراحل التي يمكن من خلالها التفسير الباطني هي:

١- البحث عن هدف الآية.

٢- الموازنة بين الهدف وخصوصيات الآية.

٣- تحديد ماله علاقة بالهدف من الخصوصيات وإقصاء ماليس له علاقة.

٤- استخراج مفهوم كلّي من الآية ينسجم مع الهدف.

٥- تطبيق الآية على الموارد المشابهة على اختلاف الزمان والمكان.

٦- مناسبة هذا المفهوم لمورد نزول الآية ولظاهر اللفظ وللقرائن العقلية والنقلية القطعية.

✓ **أبرز التفاسير الإشاريّة.**

ان من التفاسير في المنهج الاشاري هي:

١- تفسير القرآن العظيم: سهل بن عبد الله التستري (٢٠٠-٢٨٣هـ.ق).

٢- حقائق التفسير: محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي (٣٣٠-٤١٢هـ.ق).

٣- لطائف الإشارات: عبد الكريم بن هوازن القشري النيشابوري (٣٧٦-٤٤٨هـ.ق).

٤- كشف الأسرار وعدّة الأبرار: رشيد الدين أبي الفضل بن أبي سعيد أحمد بن محمد بن محمود الميبدي (كان حيّاً سنة ٥٣٠هـ.ق).

٥- تفسير القرآن المنسوب لابن عربي: كمال الدين أبي الغنائم عبد الرزاق بن جمال الدين الكاشي السمرقندي (ت: ٧٣٠هـ.ق).

٦- عرائس البيان في حقائق القرآن: أبو محمد الشيرازي (ت: ٦٦٦هـ.ق).

٧- التأويلات النجميّة: نجم الدين دايه (ت: ٦٥٤هـ.ق)، وعلاء الدولة السمناني (ت: ٧٣٦هـ.ق).

٨- تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضمّ في تأويل كتاب الله العزيز المحكم: السيد حيدر الآملي (ت: ٧٨٢هـ.ق).

✓ **بيان المفاهيم الرئيسة.**

١- المنهج الإشاريّ في التفسير هو طريق يسلكه المفسّر في عمليّة التفسير، من خلال الاستعانة ببعض الإشارات الخفيّة الموجودة في القرآن متجاوزاً في ذلك ظهور الألفاظ في القرآن إلى باطنها، بهدف توضيح نكتة في النصّ القرآنيّ لا يمكن الحصول عليها من خلال ظاهر اللفظ، بل على نحو دلالة الإشارة، علاقتها بالمعنى الظاهر علاقة تلازميّة غير بيّنة.

٢- يرجع تاريخ بعض أقسام التفسير الإشاريّ، كالتفسير الباطنيّ، إلى صدر الإسلام، حيث يوجد في الروايات المأثورة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام ما يشير إلى هذه الطريقة في التفسير، وفق ما بات يُعرَف بروايات بطون القرآن.

٣- ينقسم التفسير الإشاريّ إلى أقسام مختلفة، فأحياناً يقسّم إلى تفسير إشاريّ نظريّ وفيضيّ، وأخرى إلى تفسير إشاريّ رمزيّ وشهوديّ. وهناك من قسّم التفسير الإشاريّ إلى باطنيّ غير صحيح وباطنيّ صحيح.

٤- توجد مجموعة من المعايير التي ينبغي للمفسّر وفق المنهج الإشاريّ أن يلتزم بها، وهي الآتية: الالتفات إلى ظاهر الآية وباطنها في آنٍ واحد، مراعاة المناسبة اللفظيّة القريبة بين ظاهر الكلام وباطنه، عدم منافاة التفسير الإشاريّ للأدلّة القطعية والآيات المحكمة في القرآن وللقرائن العقلية والنقلية القطعية، مراعاة الدقة في تحديد الخصوصية وانتزاع المفهوم العام، استخراج مفهوم عام وقاعدة كلّيّة من الآية.

٥- من أبرز التفاسير الإشاريّة: تفسير القرآن العظيم، حقائق التفسير، لطائف الإشارات، كشف الأسرار وعدّة الأبرار، تفسير القرآن المنسوب لابن عربي، عرائس البيان في حقائق القرآن، التأويلات النجميّة، تفسير شاه نعمة الله الكرماني، ...

✓ **أسئلة تقويمية.**

١- عرّف المنهج الإشاريّ في تفسير القرآن، مبيناً أقسامه الصحيحة وغير الصحيحة؟.

٢- بيّن معايير التفسير الإشاريّ الصحيح؟.

٣- ما هي مراحل الحصول على بطون الآيات في القرآن الكريم؟

✓ **قراءة في تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضمّ في تأويل كتاب الله العزيز المحكم.**

إنَّ هذا التفسير من تأليف العارف السيد حيدر بن علي الآملي (٧٢٠ - ٧٨٢ هـ.ق).

ويُعدّ هذا التفسير من التفاسير الإشاريّة الجامعة للتأويل والتفسير، وقد عرّفه مؤلّفه بقوله: «... كتاباً جامعاً للتأويل والتّفسير، مشحوناً بتلك النحو، بحيث يكون التأويل مطابقاً لأرباب التّوحيد وأهل الحقيقة غير خارج عن قاعدة أهل البيت عليهم السلام بحسب الظَّاهر ... جامعاً للشّريعة والطَّريقة والحقيقة ... وترتيبه، أن أكتب القرآن أوّلاً في كلّ موضع منه بالحمرة، ليتميّز كلام الخالق عن المخلوق، ثمّ التفسير المنقول، ثمّ التأويل الَّذي يفيض علينا من اللَّه الجواد المطلق بحسب الوقت والحال، مع إضافة تلك اللطائف والنّكات المذكورة، وجعلت علامة التفسير أن أكتبه بعد القرآن بلا فصل بينه وبينه، وعلامة التأويل: تأويل، بالحمرة، لئلَّا يشتبه الكلام بعضه بالبعض، أعني التفسير بالتأويل والتأويل بالتّفسير، ووشحته بمقدّمات سبعة معتبرة متقدّمة على

الكتاب، وهي مقدّمات لا بدّ لهذا الكتاب منها بحيث لو خلّى عنها لم يكن تامّاً في طريقه ولا مشبعاً في فنّه، المقدمة الأولى منها، في بيان التأويل والتفسير، والفرق بينهما وبيان أنّ تأويل القرآن واجب عقلاً وشرعاً. المقدّمة الثانية، في بيان كتاب اللّه الكبير الآفاقيّ وتطبيقه بكتاب اللّه القرآنيّ الجمعيّ. المقدّمة الثالثة، في بيان حروف اللّه الآفاقية وتطبيقها بحروف اللّه القرآنية. المقدّمة الرابعة، في بيان كلمات اللّه الآفاقيّة وتطبيقها بكلمات اللّه القرآنيّة. المقدّمة الخامسة، في بيان آيات اللّه الآفاقيّة وتطبيقها بآيات اللّه القرآنيّة. المقدّمة السادسة، في بيان الشريعة والطريقة والحقيقة، وبيان أنّها أسماء مترادفة صادقة على حقيقة واحدة باعتبارات مختلفة. المقدّمة السابعة، في بيان التوحيد وأقسامه ومراتبه من التوحيد الفعليّ والوصفيّ والذّاتيّ، انحصارها في التوحيد الألوهيّ والوجوديّ، وما اشتمل عليهما من الأبحاث الدقيقة والأسرار الشريعة ... وإذا تقرّر هذا، وتحقّق ترتيب الكتاب وعلّة تصنيفه وتأليفه، فاعلم: أنّ هذا المكان قبل الخوض في المقدّمات، والتأويلات، يحتاج إلى تحقيق ثلاثة أشياء: الأوّل: إلى علّة تقديم المقدّمات ووجه انحصارها في السبع، والثاني: إلى علّة تطبيق التأويل، والثالث: إلى علّة خصوصيّة التأويل بأهل التوحيد وأهل البيت عليهم السلام دون غيرهم، وبيان الأولويّة والتّرجيح وتخصيص الرسوخ بهم ، وبيان تفضيلهم في جميع ذلك على غيرهم، صورة ومعنى، بحكم العقل والنقل»[1].

(١) الآملي، حيدر: تفسير المحيط الأعظم والبحر الخظم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، تحقيق: محسن الموسوي التبريزي، ط٤، قم المقدّسة، ١٤٢٨هـ.ق، ١٩٥/١-١٩٩.

المحاضرة السابعة
المنهج العلميّ في تفسير القرآن الكريم

✓ **أهداف المحاضرة.**

- **ان من اهم اهداف المحاضرة هي: أن يكون المتلقي في نهاية المحاضرة قادر على أن:**

١- يتعرّف إلى المنهج العلميّ في تفسير القرآن ونشأته ومراحل تطوّره.

٢- يناقش أدلّة القائلين بحجية المنهج العلميّ في تفسير القرآن أو عدمها.

٣- يتعرّف إلى نماذج تطبيقية من منهج التفسير العلميّ.

✓ **تمهيد:**

تُعدّ هذه الطريقة في التفسير من الطرق الحديثة التي دخلت على علم مناهج التفسير، بفعل التأثّر من قِبَل بعض المفسّرين بالنهضة العلميّة في القرون الأخيرة وما أفرزته من علوم ومعارف تجريبيّة طبيعيّة وإنسانيّة، ما استدعى السؤال عن وجود أساسيّات هذه العلوم والمعارف في القرآن من جهة، والانسجام بين القرآن ومعطيات العلم الحديث من جهة أخرى[١].

✓ **تعريف المنهج العلميّ.**

المنهج العلمي في تفسير القرآن الكريم: هو الطريق الذي يسلكه المفسّر في عمليّة التفسير، من خلال الاستعانة بمعطيات العلوم التجريبيّة الطبيعيّة والإنسانيّة، بغية الكشف عن معاني القرآن الكريم ومقاصده[٢].

وقد تفاوتت كلمات المفسّرين في المراد من التفسير العلميّ على ثلاثة آراء رئيسة[٣] هي:

---

(١) انظر: الرضائي: مناهج التفسير واتّجاهاته، ص١٩٥-٢٥٢، معرفة: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ١٠٠١/٢-١٠٠٨، السبحاني: المناهج التفسيريّة، ص١١٦-١١٩.

(٢) انظر: المصدر نفسه: ص١٩٥-٢٠٦.

(٣) انظر: المصدر نفسه: ص٢٠٢-٢٠٦، الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن١/٧-٨.

الرأي الاول: استخراج العلوم من القرآن.
الرأي الثاني: تحميل النظريات العلمية وتطبيقها على القرآن.
الرأي الثالث: استخدام العلوم في فهم القرآن وبيان الإشارات العلميّة الواردة فيه.
والرأي الأخير من هذه الأقسام هو الصحيح، ومعظم الإشكالات الواردة من قِبَل المفسّرين على عدم حجيّة هذا المنهج ترجع إلى القسمين الأوّلين، كما سيتّضح من خلال تفصيل أدلّة الموافقين والمخالفين لهذا المنهج.

✓ **تبصرة وتذكير.**

إنّ مسائل العلوم التجريبيّة لا تتّسم بالقطع، بمعنى القطع العلميّ (أي المطابقة للواقع بالضرورة)، بل هي بمعنى القطع الذاتيّ التي تصبح قطعيّة علميّة مسامحة عبر المشاهدة والملاحظة والتجربة وغيرها...

✓ **نشأته ومراحل تطوّره.**

يمكن تقسيم المراحل التاريخيّة التي مرّ بها المنهج العلميّ في التفسير إلى ثلاث مراحل، هي الآتية:

المرحلة الأولى: بدأت هذه المرحلة في أوائل القرن الثاني الهجريّ، وذلك مع دخول علوم اليونان وبلاد فارس إلى البيئة المعرفيّة والثقافيّة الإسلاميّة، بفعل ترجمة الآثار اليونانيّة والفارسيّة في العلوم المختلفة إلى اللغة العربيّة، ما أدّى إلى ظهور مسائل علميّة جديدة لم يكن المسلون مطّلعين عليها من قبل، لذا اندفع بعض المفسّرين إلى محاولة تطبيق هذه المسائل وتحميلها على القرآن، من منطلق أنّ القرآن فيه تبيان لكلّ شيء.

المرحلة الثانية: بدأت هذه المرحلة في اوائل القرن السادس الهجريّ، عندما قام بعض المفسّرين بمحاولة استخراج جميع العلوم من القرآن الكريم، من منطلق أنّ القرآن فيه تبيان كلّ شيء. وكان رائد هذه المرحلة أبو حامد الغزالي.

المرحلة الثالثة: بدأت هذه المرحلة في أوائل القرن الثامن عشر الهجري مع النهضة العلميّة في أوروبا، وما أحدثته من قطيعة مع الدين، ما حدا ببعض المفسّرين إلى محاولة مقاربة القرآن بطريقة علميّة، بهدف إثبات عدم تعارض القرآن مع الدين من جهة، وإثبات الإعجاز العلميّ في القرآن في مجال الدعوة إلى الدين الحنيف من جهة ثانية. ولهذا فقد استخدمت العلوم في فهم القرآن وكتبت تفاسير عدّة في هذا الصدد، واستمرّت هذه الطريقة في التفسير إلى عصرنا الراهن.

✓ **أسباب ظهور هذا المنهج وشيوعه.**

هناك عدة أسباب لظهور المنهج العلمي في تفسير القرآن الكريم من أهمها:

١- اهتمام القرآن بالعلم وإيراده لبعض الحقائق العلميّة.

٢- لبيان أن القرآن خض فهو عند كل قوم جديد وفي كل زمان حي، ويجري على الاولين، والآخرين كما يجري الليل والنهار.

٣- ترجمة ونشر الآثار العلميّة الطبيعيّة والفلسفيّة، اليونانية والفارسية.

٤- الاعتقاد بأنّ جميع العلوم موجودة في القرآن ويمكن استخراجها منه.

٥- الاهتمام بالعلوم الطبيعية، والاكتشافات الجديدة، لإثبات الإعجاز القرآنيّ.

٦- انتصار المذهب الحسّيّ في أوروبا وتأثّر فئة من المثقّفين المسلمين به ومحاولة تطبيق معطياته من قِبَلِهم على القرآن.

٧- الدفاع عن القرآن والدين في وجه الشبهات، ولا سيّما شبهة تعارض العلم مع الدين، وشبهة عدم مواكبة الدين لمستجدّات العصر.

✓ **أدلّة القائلين بحجّيّة المنهج العلميّ مطلقاً.**

أن للقائلين الحجية المطلقة للمنهج العلمي في تفسير القرآن الكريم أدلة متعددة من اهمها:

١- يؤدّي استخدام العلوم في تفسير القرآن إلى فهم أفضل لآياته وبيان إشاراته العلميّة، كما في موارد تعرّض القرآن لعلم الأجنّة ومراحل خلق الإنسان. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[١].

٢- المساهمة في إثبات إعجاز القرآن من خلال بيان الحقائق العلمية التي ذكرها القرآن قبل أربعة عشر قرناً وهي مكتشفة حديثاً. مثال: قانون الجاذبية، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[٢]، وقانون الزوجيّة، قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٣]، وحركة الشمس، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[٤]، وتلقيح النباتات، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾[٥]، وغيرها من الأمور العلميّة التي تحدّث عنها القرآن الكريم.

٣- التفسير العلميّ وسيلة تبليغيّة دعويّة مهمّة تؤدّي إلى إقبال غير

---

(١) سورة المؤمنون/ الآيات ١٢-١٤، سورة الحجّ/ الآية ٥.

(٢) سورة الرعد/ الآية ٢، سورة لقمان/ الآية ١٠.

(٣) سورة الذاريات/ الآية ٤٩.

(٤) سورة يس/ الآية ٣٨.

(٥) سورة الحجر، الآية ٢٢.

المسلمين على القرآن واعتناق رسالة الإسلام.

٤- التفسير العلميّ يساعد في رفع شبهة التعارض بين العلم والدين.

✓ **أدلّة القائلين بعدم حجّيّة المنهج العلميّ مطلقاً.**

إن للقائلين بعدم اطلاق حجية المنهج العلمي في التفسير كذلك أدلة متعددة من اهمها:

١- القرآن كتاب هداية وليس كتاب علم، قال تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾[١]، والمراد بكلّ شيء هو كلّ ما يرجع إلى أمر الهداية: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ**﴾[٢]، ممّا يحتاج إليه الناس في اهتدائهم من المعارف الحقيقية المتعلقة بالمبدأ والمعاد والأخلاق الفاضلة والشرائع الإلهية والقصص والمواعظ، فهو تبيان لذلك كلّه[٣].

٢- عدم إشارة النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام والصحابة والتابعين إلى أنّ القرآن يشتمل على كلّ العلوم، يثبت بطلان دعوى اشتمال القرآن على العلوم التجريبية.

٣- العلوم التجريبية غير قطعية، فلا يمكن استخدامها في تفسير القرآن.

٤- التفسير العلميّ هو من أقسام التفسير بالرأي المنهيّ عنه.

٥- التفسير العلميّ يؤدّي إلى شيوع النزعة المادية.

٦- التفسير العلميّ من أقسام التأويل الفاسد.

٧- لا توجد ضابطة للتفسير العلميّ.

---

(١) سورة النحل/ الآية ٨٩.

(٢) سورة إبراهيم/ الآية ١.

(٣) انظر: الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ١٢/٣٢٤-٣٢٥.

وبالتأمّل في هذه الوجوه المذكورة يتّضح أنّها تشير إلى نوع خاصّ من التفسير العلميّ، وهو: استخراج العلوم من القرآن أو تحميل النظريات غير القطعية على القرآن، بالإضافة إلى وجود خلل في الشروط التي ينبغي أن يتوافر عليها المفسّر.

✓ **أدلّة القائلين بالتفصيل.**

ذهب مجموعة من المفسّرين إلى القول بحجّيّة المنهج العلميّ في التفسير، لكن ضمن ضوابط وشروط محدّدة - وهو الرأي الصحيح - وهي الآتية:

١- التفصيل بين موارد تطبيق النظريّات العلميّة وتحميلها وإسقاطها على الآيات القرآنية، وبين استخدام العلوم في فهم أفضل لآيات القرآن، فالأوّل مصداق للتفسير بالرأي المنهيّ عنه، والثاني جائز ومطلوب.

٢- التفصيل بين استخدام العلوم غير القطعيّة في فهم القرآن وبين استخدام العلوم القطعيّة، فالأوّل مصداق للتفسير بالرأي المنهيّ عنه، والثاني جائز ومطلوب.

٣- التفصيل بين النسبة القطعيّة والنسبة الاحتماليّة في تحديد المراد الإلهيّ من الآيات القرآنية بفعل استخدام معطيات العلوم التجريبيّة في فهمها، لأنّ العلوم التجريبيّة لا تفيد القطع اليقينيّ، فالأولى باطلة والثانية جائزة.

٤- عدم الإفراط في النظر العلميّ إلى آيات القرآن، كما لو كان القرآن كتاب علوم، وعدم التفريط في النظر إلى الإشارات العلميّة الواردة في القرآن، والاستفادة منها في بيان إعجاز القرآن والدعوة إلى رسالته وجذب القلوب إليه وتقوية إيمان المؤمنين.

٥- مراعاة الشروط العامّة في التفسير، من قبيل: معرفة علوم اللغة، وعلوم القرآن، وعلوم الشريعة،... وكذلك القواعد والقرائن التفسيريّة.

✓ **أبرز التفاسير العلميّة.**

هناك عدة تفاسير اتبع اصحابها المنهج العلمي في تفسير القرآن الكريم من اهمها:

١- إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ.ق).
٢- قانون التأويل: أبو بكر بن العربي (ت: ٥٤٣ هـ.ق).
٣- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): الفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ.ق).
٤- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ.ق)، وله -أيضاً- كتاب «الإكليل في استنباط التنزيل».
٥- كشف الأسرار النورانية عن القرآن فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية: محمد بن أحمد الإسكندراني (ت: ١٣٠٦هـ.ق).
٦- طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد: عبد الرحمن الكواكبي (ت: ١٣٢٠هـ.ق).
٧- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ.ق).
٨- الجواهر في تفسير القرآن الكريم: طنطاوي جوهري (ت: ١٣٥٩هـ.ق).
٩- سلسلة «الآيات الكونية في القرآن الكريم(٤/٤)»: زغلول النجار (معاصر).
١٠- من علم الطب القرآني: عدنان الشريف (معاصر)، وله -أيضاً- كتابا «من علم الفلك القرآني»، و»من علم النفس القرآني»، ...
١١- موسوعة «القرآن علم وبيان (١٠/١٠)»: علي منصور كيالي (معاصر).

✓ **بيان المفاهيم الرئيسة.**

١- المنهج العلميّ هو طريق يسلكه المفسّر في عمليّة التفسير، من خلال الاستعانة بمعطيات العلوم التجريبيّة الطبيعيّة والإنسانيّة، بغية الكشف عن معاني القرآن الكريم ومقاصده.

٢- تفاوتت كلمات المفسّرين في المراد من التفسير العلميّ على ثلاثة آراء رئيسة، هي: استخراج العلوم من القرآن، تحميل النظريات العلمية وتطبيقها على القرآن، استخدام العلوم في فهم القرآن وبيان الإشارات العلميّة الواردة فيه. والقسم الأخير من هذه الأقسام هو الصحيح.

٣- يمكن تقسيم المراحل التاريخيّة التي مرّ بها المنهج العلميّ في التفسير إلى ثلاث مراحل، هي الآتية: المرحلة الأولى: بدأت في أوائل القرن الثاني الهجريّ/ المرحلة الثانية: بدأت في أوائل القرن السادس الهجريّ/ المرحلة الثالثة: بدأت في أوائل القرن الثامن عشر الهجريّ.

٤- من أسباب ظهور هذا المنهج وشيوعه: اهتمام القرآن بالعلم وإيراده لبعض الحقائق العلميّة/ ترجمة ونشر الآثار العلميّة الطبيعيّة والفلسفيّة، اليونانية والفارسية/ الاعتقاد بأنّ جميع العلوم موجودة في القرآن ويمكن استخراجها منه/ الاهتمام بالعلوم الطبيعية والاكتشافات الجديدة، لإثبات الإعجاز القرآني/ الدفاع عن القرآن والدين.

٥- أبرز التفاسير العلميّة: إحياء علوم الدين، قانون التأويل، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، الإتقان في علوم القرآن، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، الآيات الكونية في القرآن الكريم، من علم الطب القرآني، القرآن علم وبيان.

✓ **اسئلة تقويمية.**

١- عرّف المنهج العلميّ في تفسير القرآن، مبيناً سبب نشأته ومراحل تطوّره؟.

٢- ما هي أبرز الأقوال في حجّيّة المنهج العلميّ في التفسير، مع إيراد

أبرز الأدلّة ومناقشتها؟

٣- اذكر ثلاثة نماذج من تطبيقات هذا المنهج في تفسير القرآن؟.

✓ **قراءة في تفسير الجواهر.**[١]

هذا التفسير من تأليف الشيخ طنطاويّ بن جوهريّ المصريّ (ت: ١٣٥٨هـ.ق)، ويُعدّ تفسيره هذا أوّل تفاسير القرآن الكريم في ضوء العلم الحديث وأطولها.

ويرى مؤلّفه أنّ معجزات القرآن العلميّة لا زالت تنكشف يوماً بعد يوم، كلّما تقدّمت العلوم والاكتشافات، وأنّ كثيراً من كنوز القرآن العلميّة ما زالت مذخورة، يكشف عنها العلم شيئاً فشيئاً على مرّ العصور.

وأمّا منهجه في التفسير، فهو يذكر الآيات، فيفسّرها أوّلاً لفظيّاً مختصراً، لا يكاد يخرج بذلك عمّا في كتب التفسير المألوفة، لكنّه سرعان ما يخلص من هذا التفسير الذي يسمّيه تفسيراً لفظيّاً، ويدخل في أبحاث علميّة مستفيضة، يسمّيها لطائف أو جواهر. هذه الأبحاث عبارة عن مجموعة آراء علماء الشرق والغرب في العصر الحديث، ليبيّن للمسلمين وغيرهم أنّ القرآن الكريم قد سبق إلى هذه الأبحاث، ونبّه على تلك العلوم قبل أن يصل إليها هؤلاء العلماء. ونجده يضع لنا في تفسيره كثيراً من صور النباتات، والحيوانات، ومناظر الطبيعة، وتجارب العلوم، بقصد أن يوضّح للقارئ ما يقول، توضيحاً، يجعل الحقيقة أمامه كالأمر المشاهد المحسوس. ولقد أفرط في ذلك، وجاز حدّ المجاز.

وكذلك نجده يفسّر آيات القرآن تفسيراً يقوم على نظريّات علميّة حديثة، غير مستقرّة في ذاتها، ولم تمضِ فترة التثبّت منها، وهذا ضرب من التكلّف ارتكبه المؤلّف، إن لم يكن يذهب بغرض القرآن أحياناً، فلا أقلّ من أن يذهب بروائه وبهائه.

---

(١) انظر: معرفة: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ١٠٠٤/٢-١٠٠٧.

المحاضرة الثامنة
منهج تفسير القرآن الكريم بالرأي

✓ **أهداف المحاضرة.**

- **ان من اهم اهداف المحاضرة هي: أن يكون المتلقي في نهاية المحاضرة قادر على أن:**

١- يشرح طريقة التفسير بالرأي في تفسير القرآن ونشأته.

٢- يعرف أدلة القائلين بالتفسير بالرأي ويناقشها.

٣- يطّلع على نماذج تطبيقية من التفسير بالرأي ويدرك الآثار المترتّبة عليها.

✓ **تمهيد:**

لا بد للمفسّر من الاطّلاع على مشخّصات التفسير بالرأي، لاجتنابه والتحرّز من الوقوع فيه في عمليّة التفسير[١]، لما ورد في النصوص المستفيضة، بل المتواترة الواردة عند الفريقين عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام التي تحدّثت عن ظاهرة تفسير القرآن بالرأي ونهت عنه.

✓ **تعريف التفسير بالرأي.**

تفسير القرآن الكريم بالرأي: هو طريق يسلكه المفسّر من خلال الاستعانة برأيه الشخصيّ الظنّي، وإهماله للقرائن العقلية والنقلية في فهم القرآن وبيان مقاصده[٢].

✓ **نشأة التفسير بالرأي وتاريخه.**

لا يوجد تشخيص دقيق لبداية هذا المنهج في التفسير، ولكن روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله بعض الروايات في ذمّ هذه الطريقة في التفسير، ولعلّ ذلك يكشف

---

(١) انظر: الرضائي: مناهج التفسير واتّجاهاته، ص٣٠١-٣٤٧، معرفة، التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ٥٦/١-٧٤، السبحاني، المناهج التفسيريّة، ص٦٣-٧٢.

(٢) انظر: معرفة: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ٦٣/١-٦٤، الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ٧٦/٣-٧٧، الرضائي: مناهج التفسير واتّجاهاته، ص٣٠٣-٣٠٤.

عن أنّ هذا المنهج بدأ في زمن النبيّ ﷺ، ولهذا فإنّه ﷺ ذكر هذا التفسير وذمّ القائمين به.

ثمّ طرحت هذه المسألة بعد وفاة النبيّ ﷺ في زمان الأئمّة عليهم السلام، فصدرت عنهم روايات متعدِّدة في ذمّ التفسير بالرأي، بل روي عن الإمام عليّ عليه السلام، أنّه خاطب بعض الأفراد ونهاهم عن هذا النوع من التفسير. ثمّ انتشرت هذه الطريقة في العصور التالية في بعض كتب التفاسير. وقد بلغت أقصى ما وصلت إليه في العصر الحاضر، حيث سعى بعض المنافقين مع ظهور المدارس الإلحادية والتفسير بالرأي إلى أن يجذبوا شباب المسلمين إلى صفوفهم، وإخفاء مقاصدهم الإلحادية تحت هذا الستار[١].

✓ **أدلّة القائلين بعدم حجّيّة التفسير بالرأي.**

للقائلين بعدم حجّيّة تفسير القرآن الكريم بالرأي أدلة متعددة من اهمها:

اولاً: الأدلة القرآنية (آيات القرآن الكريم).

استدل اصحاب هذا الرأي بآيات قرآنية بعدم حجية تفسير القرآن الكريم بالرأي منها:

١- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٢].

٢- قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[٣].

---

(١) انظر: الرضائي: مناهج التفسير واتّجاهاته، ص٣٠٤-٣٠٥.

(٢) سورة الأعراف/ الآية ٣٣.

(٣) سورة الإسراء/ الآية ٣٦.

✓ **بيان وجه الاستدلال.**[١]

ويتم ذلك بعدة نقاط هي:

أ- إنّ التفسير بالرأي كلام غير علميّ ينسب إلى الله تعالى، لأنّ المفسّر بالرأي لا يملك اليقين بالوصول إلى الواقع، وغاية ما يتوصّل إليه هو الظنّ.

ب- إنّ نسبة الكلام غير العلميّ إلى الله حرام، للنهي عن ذلك في القرآن، كما في الآيتين المتقدّمتين، فالنتيجة هي حرمة التفسير بالرأي.

ثانياً: الادلة الروائية (روايات المنع من التفسير بالرأي): ثمّة روايات متعدّدة وردت في مصادر الشيعة والسنّة بصدد النهي عن التفسير بالرأي، ويمكن تقسيمها إلى عدّة مجموعات:

١- الروايات الّتي تُدين التفسير بالرأي وتذمّه فقط وتذكر جزاءهم، منها:

أ- ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «من فسّر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار»[٢].

ب- ما روي عنه صلى الله عليه وآله -أيضاً- قال: «**قال الله جلّ جلاله: ما آمن بي مَنْ فسّر برأيه كلامي**»[٣].

ج- روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**من فسّر برأيه آية من كتاب الله فقد كفر**»[٤].

٢-الروايات الّتي تعدّ التفسير بالرأي نوعاً من أنواع الكذب والقول بغير علم، منها:

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ٤/ ٢١٠، الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ٦١/٢.

(٢) الإحسائي: ابن أبي جمهور: عوالي اللآلي، تحقيق: مجتبى العراقي، ط١، قم المقدّسة، مطبعة سيد الشهداء، ١٤٠٥هـ.ق/ ١٩٨٥م، ١٠٤/٤.

(٣) ابن بابويه، محمد بن علي بن الحسين (الصدوق): التوحيد، تصحيح وتعليق: هاشم الحسيني الطهراني، قم المقدّسة، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، لا.ت، ٢٣ /٦٨.

(٤) العياشي، تفسير العياشي، م.س، ج١، في من فسّر القرآن برأيه، ٦/ ١٨.

أ- ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**من فسّر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب**»[١].

ب- ما رواه الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن الحسين بن علي عليهما السلام أنّه قال: «**سمعت جدّي رسول الله يقول: من فسّر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب**»[٢].

٣-الروايات الّتي تدين التفسير بالرأي من جهة كونه ضلالاً، منها:

ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «ويحك يا قتادة إن كنت إنّما فسّرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت»[٣].

٤- الروايات الّتي تدين التفسير بالرأي وإن كانت النتيجة صحيحة، منها:

أ- ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**من فسّر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر، وإن أخطأ فهو أبعد من السماء**»[٤].

ب- ما روي عنه عليه السلام -أيضاً- أنّه قال: «**من فسّر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر، وإن أخطأ كان إثمه عليه**»[٥].

✓ **أدلّة القائلين بجواز تفسير القرآن الكريم بالرأي.**

إنَّ للقائلين بجواز تفسير القرآن الكريم بالرأي عدة ادلة منها:

- **الدليل الاول: الأدلة القرآنية:** الآيات القرآنية الّتي تحثّ على التفكّر والتدبّر، منها:

---

(١) ابن بابويه، محمد بن علي بن الحسين (الصدوق): كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، لا.ط، قم المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤٠٥هـ.ق/ ١٣٦٣هـ.ش، باب٢٤، ٢٥٧/١.

(٢) الصدوق: التوحيد، باب٤، ٩٠/٥-٩١.

(٣) الكليني: الكافي، ٣١١/٨.

(٤) العياشي: تفسير العياشي، ج١، في من فسّر القرآن برأيه، ١٧/٤.

(٥) المصدر نفسه.

١- بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾[١].

٢- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[٢].

✓ **بيان وجه الاستدلال.**

الحثّ في هذه الآيات على التفكّر والتدبّر في آيات القرآن، وهي تفيد أنّ أصحاب العقول والفهم يمكنهم الاستنباط من القرآن والوصول إلى المطالب القرآنية عن طريق الاجتهاد والعقل. ولا معنى لأن يحثّنا الله سبحانه وتعالى على استخدام العقل والتدبّر، ثمّ يقف حائلاً دون استعمال الاجتهاد والنظر والرأي.

ويرد على ذلك: أنّه خلط بين مورد التفسير بالرأي مع التفسير العقليّ والتدبّر في فهم القرآن، فما ورد في هذه الآيات هو الترغيب والحثّ على التدبّر في فهم القرآن، وأنّه لا يجوز الاجتهاد والاستنباط من الآيات إلّا بعد مراجعة القرائن العقلية والنقلية والتدبّر فيها. أمّا بالنسبة إلى المفسّر بالرأي، فإنّه يعلن رأيه الشخصيّ قبل الرجوع إلى هذه القرائن، ويقوم بتحميل نظره الشخصيّ على الآيات، فالمنع من التفسير بالرأي لا يعني عدم جواز التدبّر والتفكّر في آيات القرآن.

الدليل الثاني: إنّ المنع من التفسير بالرأي لا يعني عدم جواز الاجتهاد في التفسير:

إنّ المنع من الاجتهاد يؤدّي إلى تعطيل الكثير من الأحكام، وهذا الأمر باطل بالضرورة، لأنّ النبيّ ﷺ لم يُفسّر جميع الآيات، فلا بدّ للمجتهد من استنباط الأحكام من القرآن، وإذا ما أخطأ في ذلك فهو مأجور أيضاً.

ويرد على ذلك: أنّ الاجتهاد في الأحكام على قسمين، الأوّل: الاجتهاد قبل

(١) سورة النساء/ الآية ٨٢.

(٢) سورة النساء/ الآية ٨٣.

مراجعة القرائن العقلية والنقلية، والثاني: الاجتهاد بعد مراجعة القرائن العقلية والنقلية، والأوّل ممنوع، لأنّه اجتهاد وفتوى بغير دليل، والآخر جائز، لأنّه اجتهاد صحيح.

وكذلك الاجتهاد في التفسير، فإنّه ينقسم إلى هذين القسمين -أيضاً-، فيطلق على القسم الأوّل التفسير بالرأي، وعلى الثاني التفسير الاجتهاديّ الصحيح.

• **الدليل الثاني: اختلاف صحابة النبيّ ﷺ في تفسير القرآن.**

لقد اختلف صحابة النبيّ ﷺ في تفسيرهم للقرآن، وجميع أقوالهم الّتي اختلفوا فيها لم يؤخذ من النبيّ ﷺ قطعاً، بل اعتمدوا فيها على آرائهم الشخصية، واجتهد بعضهم في مقابل بعضهم الاخر، فإنْ كان التفسير بالرأي حراماً، فهذا يعني أنّ الصحابة قد ارتكبوا الحرام.

وفي مقام الجواب، لا بدّ من الالتفات إلى عدّة نقاط في مسألة اختلاف الصحابة في التفسير منها:

١- يمكن أن يكون ذلك الاختلاف نتيجة لوصول أخبار مختلفة للصحابة عن النبيّ ﷺ أو يكون ناشئاً عن اختلاف فهمهم لكلام رسول الله ﷺ.

٢- يحتمل أن يكون تفسيرهم ناشئاً عن الاختلاف في فهم الآيات المتشابهة، أو الجمع بين الناسخ والمنسوخ أو العامّ والخاصّ وأمثال ذلك، وهذا أمر طبيعيّ ولا يعدّ من التفسير بالرأي.

٣- لم يثبت أنّ الصحابة قاموا بتفسير القرآن في كلّ الموارد من دون مراجعة المعايير المعتبرة في التفسير، أو من دون مراعاة القرائن العقلية والنقلية والالتفات إلى الآيات المحكمة.

٤- على فرض أنّ بعض الصحابة قد تورّط في التفسير بالرأي عن طريق الغفلة أو السهو أو الكذب على رسول الله ﷺ، فلا يوجد دليل على

عصمتهم، لكي يكون عملهم دليلاً على جواز التفسير بالرأي.

✓ **نماذج تطبيقيّة من التفسير بالرأي.**

١- تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[١]، من قِبَل بعض التيارات المادّيّة المنحرفة، على أنّ المراد بالغيب ليس ما لا يمكن رؤيته، أي الله والملائكة...، بل المراحل الأوّليّة لنضج الثورة التوحيديّة وزمن حصول التحوّلات الكمّيّة![٢].

٢- تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٣]، حيث قال ابن عربي: «﴿اسْتَسْقَى مُوسَى﴾، طلب نزول أمطار العلوم والحكم والمعاني من سماء الروح، فأمرناه بضرب عصا النفس التي يتوكّأ عليها في تعلّقه بالبدن وثباته على أرضه بالفكر على حجر الدماغ الذي هو منشأ العقل: ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾، من مياه العلوم على عدد المشاعر الإنسانية التي هي الحواس الخمس الظاهرة، والخمس الباطنة، والعاقلة النظرية والعملية. ولهذا قال ﷺ: «**من فقد حساً فقد فقد علماً**». ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾، أي: أهل كلّ علم مشربهم من ذلك العلم، كأهل الصناعات، والعلماء العاملين من مشرب العقل العمليّ، والحكماء والعارفين من النظريّ، والصباغين من علم الألوان

---

(١) سورة البقرة/ الآية ٣.

(٢) انظر: مطهّري، مرتضى: نقد الفكر الديني، ترجمة: صاحب الصادق، مراجعة: صادق العبادي، جمع وتصنيف: مهدي جهرمي، محمد باقري، ط١، فرجينيا - الولايات المتّحدة الأمريكيّة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤٣٢هـ.ق/ ٢٠١١م، التفسير الاشتراكي والماركسي للقرآن!، ص٨٣-٨٤.

(٣) سورة البقرة/ الآية ٦٠.

المبصرة، وأهل صناعة الموسيقى من علم الأصوات وغير ذلك. وعلى التأويل الثاني: أمرنا موسى القلب، بضرب عصا النفس على حجر الدماغ، ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾، هي المشاعر المذكورة التي تختص كل واحدة منها بقوة من القوى الاثنتي عشرة المذكورة التي هي أسباط يعقوب الروح، قد علم كلّ منها مشربه. ﴿كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ﴾، أي: انتفعوا بما رزقكم الله من العلم والعمل والأحوال والمقامات، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، ولا تبالغوا في الفساد بالجهل[1].

إنّ أدنى تأمّل في هذه النماذج يقود إلى الحكم بضعفها وابتنائها على الأهواء والآراء الشخصيّة الظنّيّة، فلا يساعد عليها التبادر اللغويّ للألفاظ في أسلوب الكلام العربيّ، ولا سياق الكلام العربيّ، ولا القرائن العقلية والنقلية!

✓ **أبرز الآثار السلبية المترتّبة على التفسير بالرأي.**

إنَّ من أبرز الآثار السلبية المترتبة على تفسير القرآن الكريم بالرأي هي:

١- ذم العقلاء لهذا الطريق من التفسير.

٢- العذاب الإلهيّ، كما ورد في الروايات المتقدّمة.

٣- شيوع الفوضى في فهم المعاني، لعدم وجود الضوابط، بما يؤدّي إلى أن يصبح القرآن تابعاً لأذواق البشر.

٤- تغيّر المفاهيم وتبدّلها وضياع المحتوى الواقعيّ للقيم.

٥- إهمال سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام في فهم القرآن.

٦- نفوذ الأفكار الخاطئة إلى الفهم الدينيّ.

---

(١) ابن عربي، محيي الدين: تفسير ابن عربي، ضبط وتصحيح وتقديم: عبد الوارث محمد علي، ط١، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٢٢هـ.ق/٢٠٠١م، ١/٥٥-٥٦.

✓ **أبرز مشخّصات منهج تفسير القرآن الكريم بالرأي.**

إنّ من أبرز مشخّصات منهج تفسير القرآن الكريم بالرأي هي:

١- عدم الالتفات إلى القرائن العقلية والنقلية.

٢- تحميل الآراء والميول الشخصيّة وإسقاطها على القرآن.

٣- عدم توافر الشروط العامّة المعتبرة في التفسير عند المفسّر بالرأي، من قبيل عدم مراعاته لقواعد اللغة، وقواعد المحاورة العرفية، وقواعد علوم القرآن، وقواعد علوم الشريعة.

✓ **تبصرة وتذكير:**

يفترق التفسير بالرأي عن التفسير العقليّ والاجتهاديّ في أنّ:

١- الأوّل لا يرجع إلى القرائن العقلية والنقلية، بخلاف الثاني.

٢- الأوّل لا يراعي الضوابط العامّة المرعية في التفسير، بخلاف الثاني.

✓ **بيان المفاهيم الرئيسة.**

١- التفسير بالرأي هو طريق يسلكه المفسّر من خلال الاستعانة برأيه الشخصيّ الظنّي، وإهماله للقرائن العقلية والنقلية في فهم القرآن وبيان مقاصده.

٢- لا يوجد تشخيص دقيق لبداية هذا المنهج في التفسير، ولكن روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله بعض الروايات في ذمّ هذه الطريقة في التفسير، ولعلّ ذلك يكشف عن أنّ هذا المنهج بدأ في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله.

٣- استدلّ القائلون بعدم حجّيّة هذا الطريق في التفسير بأدلّة عدّة، هي الآتية: آيات القرآن الكريم، السنّة الشريفة.

٤- قدّم القائلون بحجّيّة هذا الطريق في التفسير تقريبات عدّة ضعيفة، تسقط بأدنى تأمّل.

٥- من أبرز الآثار السلبية المترتّبة على التفسير بالرأي: ذم العقلاء لهذا الطريق من التفسير/ العذاب الإلهيّ/ شيوع الفوضى في فهم المعاني/ تغيّر المفاهيم وتبدّلها وضياع المحتوى الواقعيّ للقيم/ إهمال سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام في فهم القرآن/ نفوذ الأفكار الخاطئة إلى الفهم الدينيّ.

٦- أبرز مشخّصات التفسير بالرأي: عدم الالتفات إلى القرائن العقلية والنقلية/ تحميل الآراء والميول الشخصيّة وإسقاطها على القرآن/ عدم توافر الشروط العامة المعتبرة في التفسير عند المفسّر بالرأي.

✓ **أسئلة تقويمية.**

١- عرّف المراد من التفسير بالرأي، مبيّناً خطورته وآثاره السلبيّة؟.

٢- ما هي أبرز الدلّة على عدم حجّيّة التفسير بالرأي؟

٣- عدّد أبرز مشخّصات التفسير بالرأي؟.

قراءة في تفسير المنار.[1]

هذا التفسير من تأليف: رشيد رضا، وهو تفسير حافل جامع، ولكنّه غير كامل، ويشتمل على اثني عشر مجلّداً، وينتهي عند الآية (٥٣) من سورة يوسف.

كان من أوّل القرآن إلى الآية (١٢٦) من سورة النساء، بإنشاء الشيخ محمّد عبده (ت: ١٣٢٣هـ.ق)، وإملاء السيّد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤هـ.ق)، ومن بعده سار السيّد في التفسير متّبعاً منهج الشيخ في تفسيره للآيات حتّى سورة يوسف.

كان الشيخ محمد عبده يُلقي دروسه في التفسير بالجامع الأزهر على الطلّاب لمدّة ستّ سنوات، وكان السيّد رشيد رضا يكتب ما سمعه ويزيد

(١) انظر: معرفة: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ٢/١٠١١-١٠٢٠.

عليه بما ذاكره مع الشيخ، وقام بنشر ما كتب في مجلّته «المنار»، وذلك بعد مراجعة الأستاذ ليقوم بتنقيحه وتهذيبه، أو إضافة ما يكمله.

ومن خصائص هذا التفسير العناية بمشاكل المسلمين الحاضرة، والتوجّه إلى معالجة أسباب تأخّر المجتمع الإسلاميّ، وإلى إمكان بناء مجتمع قويّ، وعودة الأمّة إلى ثورة حقيقيّة قرآنيّة على أوضاعها المتخلّفة، ومواجهة الحياة مواجهة علميّة صحيحة، والعناية التامّة إلى الأخذ بأسباب الحضارة الإسلاميّة من جديد، ومواجهة أعدائها، وردّ الغزوات الفكريّة الاستعماريّة التي شُنّت على الإسلام عقيدةً وتاريخاً وحضارةً ورجالاً، ومناقشتها بالأدلة العلميّة والوقائع التاريخيّة وتفنيدها وإثبات بطلانها من ذاتها.

المحاضرة التاسعة
الاتّجاه الكلاميّ في تفسير القرآن الكريم

✓ **أهداف المحاضرة.**

- **ان من اهم اهداف المحاضرة هي: أن يكون المتلقي في نهاية المحاضرة قادر على أن:**

١- يتعرّف إلى الاتجاه الكلاميّ في تفسير القرآن، ونشأته.

٢- يعرف شروط استخدام الاتّجاه الكلاميّ في تفسير القرآن وضوابطه.

٣- يفهم نماذج تطبيقية في تفسير القرآن وفق الاتّجاه الكلاميّ من ثلاث مدارس كلامية.

✓ **تعريف الاتّجاه الكلاميّ.**

تأثير ذوق المفسّر وخلفيّاته العقدية والكلاميّة في عمليّة تفسيره للقرآن وفهم معانيه وبيان مقاصده.

✓ **نشأة الاتّجاه الكلاميّ وتاريخه.**

لم يكن هناك اختلاف ملحوظ في المسائل العقديّة والكلاميّة في زمن النبيّ ﷺ، وإنّما حدث ذلك بعد وفاته ﷺ، وخصوصاً في مسألة الإمامة. وقد اتّسعت دائرة هذه الخلافات تدريجيّاً إلى مسائل صفات الله تعالى والنبيّ ﷺ، ثمّ نشأ علم الكلام في أواخر القرن الأوّل الهجريّ وبداية القرن الثاني، فظهرت المدرسة الاعتزاليّة في الكلام بواسطة واصل بن عطاء (٨٠-١٣١هـ.ق)، وتبلورت مدرسة الأشاعرة عن طريق أبي الحسن الأشعريّ (ت: ٣٣٠هـ.ق تقريباً)، ثمّ ظهرت بعد ذلك الفرقة الماتريدية.

فيما نشأت المدرسة الكلامية الامامية عن طريق أهل البيت عليهم السلام مع بداية ظهور الإسلام ولها عقائد مستوحاة من القرآن الكريم وأحاديث النبيّ ﷺ في مسألة الإمامة والعصمة، ثمّ أصبحت أكثر ترتيباً وتنظيماً على يد بعض

العلماء، أمثال: الشيخ المفيد (٣٣٦-٤١٣هـ.ق). وقد مارست هذه المدارس الكلامية التفسير -أيضاً-، فكانت تأخذ من الآيات ما يوافق آراءها، وتؤوّل الآيات المخالفة، أو تقوم بتوجيهها بحقٍّ أو بغير حقٍّ. وبناءً على ما تقدّم، فقد ظهرت الاتّجاهات الكلامية في التفسير بأنواع مختلفة، واستمرّت حتى عصرنا الحاليّ[١].

✓ **اهتمامات الاتّجاه الكلاميّ في تفسير القرآن الكريم.**

أكثر ما يهتمّ به المفسِّر في الاتّجاه الكلاميّ هو الآتي[٢]:

١- تفسير آيات العقائد (التوحيد/ العدل/ النبوّة/ الإمامة/ المعاد/...).

٢- الآيات المتشابهة في القرآن.

٣- إثبات عقائده ونفي عقائد الآخرين عن طريق تفسير الآيات.

٤- الدفاع عن عقائد المسلمين أو الدفاع عن المدرسة الكلامية الّتي يتبنّاها.

٥- الاستفادة من المنهج الاجتهاديّ والعقليّ في التفسير، واتّباع الطريقة الاستدلالية، إضافة إلى استخدام الروايات والآيات أيضاً، ولهذا فقد تشتمل التفاسير الكلامية على مناهج واتّجاهات متعدّدة.

✓ **أشهر المدارس التي اعتمدت الاتجاه الكلاميّ في تفسير القرآن الكريم.**

اشتهرت في البيئة المعرفيّة الإسلاميّة مدارس كلاميّة عدّة اهتمّت بتفسير القرآن الكريم من منطلق خلفيّاتها وتوجّهاتها الكلاميّة[٣]، أبرزها الآتية:

---

(١) انظر: الرضائي، مناهج التفسير واتّجاهاته، ص٣٦٥-٣٦٦، السبحاني: المناهج التفسيريّة، ص٩٢-١٠٣.

(٢) انظر: الرضائي: مناهج التفسير واتّجاهاته، ص٣٦٦، السبحاني، المناهج التفسيريّة، ص٩٢-١٠٣.

(٣) انظر: المصادر نفسها، ص٣٦٧-٣٧٣، ص٩٢-١٠٣.

• **المدرسة الاولى: مدرسة المعتزلة.**

المعتزلة هم أتباع واصل بن عطاء (٨٠-١٣١هـ.ق). ومن أهمّ الشخصيات البارزة في هذه المدرسة: عمرو بن عبيد (ت: ١٤٣هـ.ق)، وأبو الهذيل العلّاف (ت: ٢٣٥هـ.ق)، وإبراهيم النظّام (ت: ٢٣١هـ.ق)، والجاحظ (ت: ٢٥٥هـ.ق)، والقاضي عبد الجبّار المعتزلي (ت: ٤١٥هـ.ق) والزمخشري (ت: ٥٣٨هـ.ق)، وغيرهم، ومن أبرز التفاسير الكلاميّة عند المعتزلة، الآتي:

١- متشابه القرآن: القاضي عبد الجبّار الهمداني (ت: ٤١٥هـ.ق)، وهو شافعيّ في المذهب الفقهيّ، ومعتزليّ في الكلام.

٢- تنزيه القرآن عن المطاعن: عبد الجبّار المعتزليّ.

٣- الكشّاف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ (ت: ٥٣٨هـ.ق) وقد تعرّض فيه إلى المسائل الأدبية واللغوية أيضاً.

٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): القاضي ناصر الدِّين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمّد بن عليّ البيضاوي الشافعي (ت: ٦٨٥هـ.ق)، وقد كتب هذا التفسير بالاعتماد على تفسير الكشّاف للزمخشريّ، والمشهور أنّ البيضاوي أشعريُّ المذهب، ولكن بعض المحقّقين يعتقدون أنّه معتزليّ، لأنّه أعطى أهميّة كبيرة للعقل والعدل في تفسيره.

٥- جامع التأويل لمحكم التنزيل: أبو مسلم الأصفهاني (ت: ٣٢٢هـ.ق)، ولا يوجد أصل هذا التفسير، ولكن الفخر الرازي نقل عنه في تفسيره، وكذلك الطبرسي في مجمع البيان، وقد طُبعت آراء أبي مسلم الأصفهاني التفسيريّة في مصر وإيران بصورة مستقلّة، ويتميّز أبو مسلم بمنهجه العقليّ في التفسير.

وغيرها من التفاسير الأُخرى للمعتزلة التي ليست في متناول اليد الآن، مثل: تفسير أبي بكر عبد الرحمن بن كيان الأصم (ت: ٢٤٠هـ.ق)، ومحمّد بن عبد الوهّاب بن سلام (أبو علي الجبائي) (ت: ٣٠٣هـ.ق)، وهناك تفسير كبير لعبد السلام بن محمّد بن يوسف (ت: ٤٨٣هـ.ق) شيخ المعتزلة.

- **المدرسة الثانية: المدرسة الأشعرية.**

الأشاعرة هم أتباع أبي الحسن الأشعريّ (ت: ٣٣٠هـ.ق تقريباً). ومن أهمّ الشخصيات البارزة في هذه المدرسة: القاضي أبو بكر الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ.ق)، وأبو إسحاق الإسفراييني (ت: ٤١٨هـ.ق)، وأبو المعالي الجويني (٤١٩-٤٧٨هـ.ق)، ومحمّد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، والفخر الرازي (ت: ٥٤٣هـ.ق)، وغيرهم، ومن أبرز التفاسير الكلاميّة عند الأشاعرة، الآتي:

١- تأويلات القرآن: أبو منصور محمود الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ.ق)، وهو في الفقه من أتباع مذهب أبي حنيفة، ويميل إلى المدرسة الكلامية الأشعرية.

٢- مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي): عبد الله بن أحمد بن محمود بن محمّد النسفي (ت: ٧١٠هـ.ق) وقد دوّن هذا الكتاب من أجل نقد آراء الزمخشري في الكشّاف، والنسفيّ من أئمّة المذهب الحنفيّ في زمانه.

٣- بيان المعاني: عبد القادر الملّا حويش آل غاري (ت: ١٣٩٨هـ.ق)، حنفيّ المذهب، ومن أتباع المذهب الأشعريّ في الكلام.

٤- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): الفخر الرازي (ت: ٦٠٢ أو ٦٠٦هـ.ق) ويطلق عليه إمام المشكّكين، وقد أسرف في ذكر المباحث الكلامية حتّى

قيل في تفسيره: فيه كلّ شيء إلّا التفسير. وبالرغم من كونه أشعريّاً في الكلام، ولكنّه قد يتكلّم خلاف العقيدة الأشعرية في بعض الأحيان.

- **المدرسة الثالثة: المدرسة الإمامية.**

وهم الشيعة أتباع الأئمّة الاثني عشر - من الإمام عليّ عليه السلام إلى الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف -، وقد استفاد الشيعة من أئمّة أهل البيت عليهم السلام في القرون الأولى، وأخذوا عنهم أهمّ المسائل الكلامية. وقد شاع المذهب الكلاميّ للشيعة بعد انتهاء الغيبة الصغرى لإمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف سنة ٣٢٩هـ.ق، بواسطة علماء الشيعة الكبار، أمثال: الشيخ المفيد (٣٣٦-٤١٣هـ.ق)، والسيّد المرتضى (٣٥٥-٤٣٦هـ.ق)، والشيخ الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ.ق)، والخواجة نصير الدِّين الطوسي (٥٩٧-٦٧٢هـ.ق)، وغيرهم، ومن أبرز التفاسير الكلاميّة عند الشيعة، الآتي:

١- غرر الفوائد ودرر القلائد (أمالي السيّد المرتضى): الشريف المرتضى (ت: ٤٣٦هـ.ق)، والّذي جمع بين الظاهر والباطن.

٢- تفسير التبيان: الشيخ أبو جعفر الطوسي (ت: ٤٦٠هـ.ق).

٣- تفسير مجمع البيان: الشيخ أبو علي الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ.ق).

٤- متشابه القرآن ومختلفه: ابن شهر آشوب المازندراني (ت: ٥٨٨هـ.ق)، وقد دوّن هذا التفسير بصورة موضوعية.

٥- آلاء الرحمن: محمّد جواد البلاغي النجفي (٢٨٢-١٣٥٢هـ.ق)، وآخر هذا التفسير هو الآية (٥٧) من سورة النساء، وكثيراً ما يتعرّض إلى المسائل الكلامية بين الأديان.

٦- الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمّد حسين الطباطبائي (١٣٢١-١٤٠٢هـ.ق)، وهو يتعرّض كثيراً إلى المباحث الاعتقادية،

وخصوصاً في المجلّدات الأولى من تفسيره، ورغم أنّ منهجه هو تفسير القرآن بالقرآن، ولكنّه يهتمّ كثيراً بالمباحث الكلامية والفلسفية.

٧- مواهب الرحمن: السيّد عبد الأعلى السبزواري (١٣٢٨-١٤١٤هـ.ق).

٨- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (معاصر).

✓ نماذج تطبيقيّة للاتّجاه الكلاميّ في تفسير القرآن الكريم.

١- تفسير كلمة «ناظرة» في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1].

أ- تفسير المدرسة الأشعريّة: النظر الحسّيّ: قال الرازي في التفسير الكبير في تفسير هذه الآية: «اعلم أنّ جمهور أهل السنّة يتمسّكون بهذه الآية في إثبات أنّ المؤمنين يرون الله تعالى يوم القيامة. أمّا المعتزلة فلهم ههنا مقامان، أحدهما: بيان أنّ ظاهره لا يدلّ على رؤية الله تعالى. والثاني: بيان التأويل. أمّا المقام الأوّل: فقالوا: النظر المقرون بحرف إلى ليس اسماً للرؤية، بل لمقدّمة الرؤية، وهي تقليب الحدقة نحو المرئيّ التماساً لرؤيته، ونظر العين بالنسبة إلى الرؤية، كنظر القلب بالنسبة إلى المعرفة، وكالإصغاء بالنسبة إلى السماع. فكما أنّ نظر القلب مقدّمة للمعرفة، والإصغاء مقدّمة للسماع، فكذا نظر العين مقدّمة للرؤية... المقام الثاني: في بيان التأويل المفصّل، وهو من وجهين الأوّل: أن يكون الناظر بمعنى المنتظر، أي أولئك الأقوام ينتظرون ثواب الله... التأويل الثاني: أن يضمر المضاف، والمعنى إلى ثواب ربها ناظرة... قوله: ليس النظر عبارة عن الرؤية، قلنا: ههنا مقامان: الأوّل: أن تقيم الدلالة على أنّ

(١) سورة القيامة/ الآيتان ٢٢-٢٣.

النظر هو الرؤية من وجهين: الأوّل: ما حكى الله تعالى عن موسى عليه السلام وهو قوله: ﴿أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[١]، فلو كان النظر عبارة عن تقليب الحدقة إلى جانب المرئيّ، لاقتضت الآية أنّ موسى عليه السلام أثبت لله تعالى وجهة ومكاناً، وذلك محال. الثاني: أنّه جعل النظر أمراً مرتّباً على الإرادة، فيكون النظر متأخّراً عن الإرادة، وتقليب الحدقة غير متأخّر عن الإرادة، فوجب أن يكون النظر عبارة عن تقليب الحدقة إلى جانب المرئيّ. المقام الثاني: وهو الأقرب إلى الصواب، سلّمنا أنّ النظر عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئيّ التماساً لرؤيته، لكنّا نقول: لمّا تعذّر حمله على حقيقته، وجب حمله على مسبّبه وهو الرؤية، إطلاقاً لاسم السبب على المسبّب، وحمله على الرؤية أولى من حمله على الانتظار، لأنّ تقليب الحدقة، كالسبب للرؤية ولا تعلّق بينه وبين الانتظار، فكان حمله على الرؤية أولى من حمله على الانتظار. أمّا قوله: النظر جاء بمعنى الانتظار، قلنا: لنا في الجواب مقامان: الأوّل: أنّ النظر الوارد بمعنى الانتظار كثير في القرآن، ولكنه لم يقرن البتّة بحرف إلى، كقوله تعالى: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾[٢]، وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ﴾[٣]، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ﴾[٤]. والذي ندّعيه أنّ النظر المقرون بحرف إلى المعدّى إلى الوجوه ليس إلا بمعنى الرؤية أو بالمعنى الذي يستعقب الرؤية ظاهر، فوجب أن لا يَرِد بمعنى الانتظار، دفعاً للاشتراك»[٥].

(١) سورة الأعراف/ الآية ١٤٣.

(٢) سورة الحديد/ الآية ١٣.

(٣) سورة الأعراف/ الآية ٥٣.

(٤) سورة البقرة/ الآية ٢١٠.

(٥) انظر: الرازي: فخر الدين: التفسير الكبير مفاتيح الغيب-، لا.ط جديدة مصحّحة وملوّنة-، تحقيق ونشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٥هـ.ق/ ١٩٩٥م، مجلّد ١٠، ٣٠/٧٣٠-٧٣٢.

ب- **تفسير مدرسة المعتزلة: انتظار الثواب:** قال الزمخشريّ في تفسير الكشاف: «﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ تنظر إلى ربها خاصّة، لا تنظر إلى غيره، وهذا معنى تقديم المفعول، ألا ترى إلى قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾[١]، ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾[٢]، ﴿إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ﴾[٣]، ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[٤]، ﴿تُرْجَعُونَ﴾[٥]، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[٦]، كيف دلّ فيها التقديم على معنى الاختصاص، ومعلوم أنّهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر، ولا تدخل تحت العدد، في محشر يجتمع فيه الخلائق كلّهم، فإنّ المؤمنين نظارة ذلك اليوم، لأنّهم الآمنون الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون، فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظوراً إليه محال، فوجب حمله على معنى يصحّ معه الاختصاص، والذي يصحّ معه أن يكون من قول الناس أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى التوقّع والرجاء»[٧].

ج- **تفسير المدرسة الإمامية: النظر القلبيّ بحقيقة الإيمان:** قال العلامة الطباطبائي قدس سره في تفسير الميزان: «قوله: ﴿**إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ خبر بعد خبر لوجوه، و ﴿**إِلَىٰ رَبِّهَا**﴾ متعلّق بناظرة قُدِّم عليها، لإفادة الحصر أو الأهمّيّة. والمراد بالنظر إليه تعالى ليس هو النظر الحسّيّ المتعلّق بالعين الجسمانية المادية التي قامت البراهين القاطعة على استحالته في حقّه تعالى، بل المراد النظر القلبيّ ورؤية القلب بحقيقة

(١) سورة القيامة/ الآية ١٢.
(٢) سورة القيامة/ الآية ٣٠.
(٣) سورة الشورى/ الآية ٥٣.
(٤) سورة النور/ الآية ٤٢.
(٥) سورة البقرة/ الآية ٢٤٥.
(٦) سورة الشورى/ الآية ١٠.
(٧) انظر: الزمخشري: الكشّاف، ٤/ ١٩٢.

الإيمان على ما يسوق إليه البرهان، ويدل عليه الاخبار المأثورة عن أهل العصمة عليهم السلام»[١].

٢- حقيقة (الإضلال والهداية): قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢]..

قال العلامة الطباطبائي قدس سره في تفسير الميزان بصدد تفسيره لهذه الآية، وبيان صواب معتقد الشيعة الإماميّة في المسألة، وتفنيد آراء المدارس الكلاميّة الأخرى (الأشاعرة والمعتزلة): «لما انجرّ الكلام إلى ذِكْر اختلافهم عقَّب ذلك ببيان أنّ اختلافهم ليس بناقض للغرض الإلهيّ في خلقهم، ولا أنّهم معجزون له سبحانه، ولو شاء لجعلهم أمّة واحدة لا اختلاف بينهم، ولكنّ الله سبحانه جعلهم مختلفين بالهداية والإضلال، فهدى قوماً وأضلّ آخرين، وذلك أنّه تعالى وضع سعادة الإنسان وشقاءه على أساس الاختيار، وعرّفهم الطاعة المفضية إلى غاية السعادة، والمعصية المؤدّية إلى غاية الشقاء، فمن سلك مسلك المعصية واجتاز للضلال جازاه الله ذلك، ومن ركب سبيل الطاعة واختار الهدى جازاه الله ذلك، وسيسألهم جميعاً عمّا عملوا واختاروا. وبما تقدَّم يظهر أنّ المراد بجعلهم أمّة واحدة رفع الاختلاف من بينهم، وحملهم على الهدى والسعادة، وبالإضلال والهداية ما هو على سبيل المجازاة، لا الضلال والهدى الابتدائيّان (وفق ما ذهب إليه الأشاعرة)، فإنّ الجميع على هدى فطريّ، فالذي يشاء الله ضلاله فيضلّه هو من اختار المعصية على الطاعة من غير رجوع ولا ندم، والذي شاء الله هداه فهداه هو من بقي على هداه الفطريّ وجرى على الطاعة أو تاب ورجع عن المعصية صراطاً مستقيماً

(١) انظر: الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ٢٠/ ١١٢.
(٢) سورة النحل/ الآية ٩٣.

وسنّة إلهيّة، ولن تجد لسنّة الله تبديلاً، ولن تجد لسنّة الله تحويلاً، وإنّ قوله: ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، لدفع ما يسبق إلى الوهم أنّ استناد الضلال والهدى إليه سبحانه يبطل تأثير اختيارهم في ذلك، وتبطل بذلك الرسالة وتلغو الدعوة (وفق ما ذهب إليه المعتزلة). فأجيب: بأنّ السؤال باقٍ على حاله، لما أنّ اختياركم لا يبطل بذلك، بل الله سبحانه يمدّ لكم من الضلال والهدى ما أنتم تختارونه، بالركون إلى معصيته، أو بالإقبال إلى طاعته (وفق ما ذهب إليه الشيعة الإماميّة)[1].

✓ **بيان المفاهيم الرئيسة.**

١- الاتّجاه الكلاميّ هو تأثير ذوق المفسّر وخلفيّاته العقدية والكلاميّة في عمليّة تفسيره للقرآن وفهم معانيه وبيان مقاصده.

٢- نشأ هذا الاتّجاه بعد وفاة النبيّ ﷺ بفعل الاختلاف في المسائل الكلاميّة بين المسلمين، وخصوصاً في مسألة الإمامة. وقد اتّسعت دائرة هذه الخلافات تدريجيّاً إلى مسائل صفات الله تعالى والنبيّ ﷺ.

٣- أكثر ما يهتمّ به المفسِّر في الاتّجاه الكلاميّ هو الآتي: آيات العقائد، الآيات المتشابهة، إثبات عقائده ونفي عقائد الآخرين، الدفاع عن عقائد المسلمين أو الدفاع عن المدرسة الكلامية الّتي يتبنّاها.

٤- من أشهر المدارس الكلاميّة في التفسير: المدرسة الاعتزاليّة، المدرسة الأشعريّة، المدرسة الإماميّة.

✓ **أسئلة تقويمية.**

١- عرّف الاتّجاه الكلاميّ في التفسير، مبيّناً اهتمامات المفسّر فيه؟.

٢- ما هي أبرز المدارس الكلاميّة في التفسير؟ وما هي أبرز خصائصها؟

(١) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ٢/٩٣٣٦-٣٣٧.

٣- اذكر أنموذجاً تطبيقيّاً مقارناً للاتّجاه الكلاميّ في التفسير عند أكثر من مدرسة كلاميّة تفسيريّة؟.

✓ **قراءة التفسير الكبير**[١].

هذا التفسير من تأليف فخر الدين محمّد بن عمر بن الحسين الرازيّ (ت: ٦٠٦هـ.ق).

ويُعدّ هذا التفسير من جلائل كتب التفسير، وقد استوفى الكلام فيه، بما وسعه من الاضطلاع بأنحاء المعارف وفنون العلوم، ولم يدع براعته متجوّلة في مختلف مسائل الأصول والفلسفة والكلام، وسائر المسائل الاجتهاديّة النظريّة والعقليّة، وأسهب الكلام فيها، بما ربّما أخرجه عن حدّ الاعتدال. وكثيراً ما يترك وراءه لمّة من تشكيكات وإبهامات بما يعرقل سبيل الباحثين في التفسير، ولكنّه مع ذلك فإنّه فتّاح لكثير من مغالق المسائل في أبحاث إسلاميّة عريقة.

وأمّا منهجه في التفسير، فإنّه يذكر الآية أوّلاً، ويعقّبها بموجز الكلام عنها بصورة إجماليّة، ويذكر أنّ فيها مسائل، يبحث في كلّ مسألة عن طرف من شؤون الآية: قراءة، وأدباً، وفقهاً، وكلاماً، وما أشبه من المباحث المتعلّقة بتفسير الآية، ويستوفي الكلام في ذلك في نهاية المطاف. وهو من أحسن الأساليب التفسيريّة، تتجزّأ المسائل وتتركّز الأبحاث، مفصّلة كلّاً في محلّها، من غير أن يختلط البحث أو تتشابك المطالب، ومن ثمّ لا يترك القارئ حائراً في أمره من البحث الذي ورد فيه.

ويغلب على هذا التفسير اللون الكلاميّ الفلسفيّ، لاضطلاعه بهذين العلمين، ومن ثمّ نجده يكثر الكلام في ذلك كلّما أتاحت له الفرصة، فيغتنمها، ويسهب

(١) انظر: معرفة: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب،٢ /٨٧٢-٨٩١.

الكلام في مسائل فلسفيّة بعيدة الأغوار، بما ربّما أخرجه عن حدّ تفسير القرآن، إلى مباحث جدليّة كلاميّة، وربّما كانت فارغة.

ولصاحب هذا التفسير عناية خاصّة بآل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، فهو يذكرهم بإجلال وإكبار، ويفخّم من شأنهم، ما ينبّئ عن ولاء متين بالنسبة إلى العترة الطاهرة عليهم السلام، الذين هم عدل القرآن العظيم. ومن دأبه تعقيب أسماء أئمّة أهل البيت بـ عليهم السلام، كتعقيبه لاسم النبيّ صلى الله عليه وآله، وتعقيب اسم عليّ بـ عليه السلام، وهكذا في تعقيب أسماء سائر الأئمّة عليهم السلام. وهو عندما يروي عن الإمام جعفر بن محمّد عليه السلام، يصفه أوّلاً بلقبه الفخيم «الصادق»، ثم يعقّبه بـ عليه السلام.

المحاضرة العاشرة
الاتّجاه الفقهيّ في تفسير القرآن الكريم

✓ **أهداف المحاضرة.**

- **ان من اهم اهداف المحاضرة هي: أن يكون المتلقي في نهاية المحاضرة قادر على أن:**

١- يتعرّف إلى الاتّجاه الفقهيّ في تفسير القرآن، ونشأته وتاريخه.

٢- يفهم ضوابط استخدام الاتجاه الفقهيّ في تفسير القرآن.

٣- يتدرّب على نماذج تطبيقية في تفسير القرآن وفق الاتّجاه الفقهيّ.

✓ **تعريف الاتّجاه الفقهيّ في تفسير القرآن الكريم.**

الاتجاه الفقهي في التفسير: تأثير ذوق المفسّر وخلفيّاته الفقهيّة في عمليّة تفسيره للقرآن وفهم معانيه وبيان مقاصده.

✓ **نشأة الاتّجاه الفقهيّ وتاريخه.**

أشار القرآن الكريم في آيات عدّة إلى الأحكام التكليفية للإنسان، وقد بلغت ما يقارب الخمسمائة آية. وكان الصحابة يسألون النبيّ ﷺ عن أيّ إبهام حولها. ولمّا توفيّ النبيّ ﷺ أخذ الصحابة يستنبطون الأحكام من هذه الآيات ويعملون بها، وقد يختلفون حولها. من ذلك أنّه لمّا رفعت امرأة إلى عمر وكانت قد وَلَدَت لستّة أشهر، فَهَمّ عمر أن يرجمها لولا أن تداركها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وقال ما مضمونه: «إنّ لها عذراً في كتاب الله، يقول تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾[1]. وقال: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾[2] فإذا كان الفصال وهو مدّة الرضاع عامين، فالباقي للحمل ستّة أشهر»، فاقتنع عمر بذلك وخلّى سبيلها. ثمّ قال: اللّهمّ لا تبقني لمعضلة ليس

(١) سورة البقرة/ الآية ٢٣٣.

(٢) سورة الاحقاق/ الآية ١٥.

لها ابن أبي طالب[١].

وبعد نشوء المذاهب الفقهية في القرن الثاني الهجريّ وما بعده، قام أتباع المذاهب وعلماؤها، كالشيعة، والحنفية، والمالكية، والحنابلة والشافعيّة وغيرهم، بتفسير آيات الأحكام وتأليف الكتب في هذا المجال. وما زال هذا الاتجاه فاعلاً في النتاج التفسيريّ إلى واقعنا المعاصر.

✓ **اهتمامات الاتّجاه الفقهيّ في تفسير القرآن الكريم.**

أكثر ما يهتمّ به المفسِّر في الاتّجاه الفقهيّ هو الآتي[٢]:

١- تفسير الآيات الّتي تتضمّن أحكاماً فقهيّة تخصّ حياة الإنسان، وتبيّن تكليفه عن طريق الواجب، المستحبّ، الحرام، المكروه، والمباح، في أبواب العبادات والمعاملات والأحكام (قصاص وحدود وديات).

٢- استنباط الأحكام الشرعيّة الفرعية عن طريق آيات القرآن.

٣- التركيز على خصائص آيات الأحكام، لجهة ناسخها ومنسوخها، ومطلقها ومقيّدها، وعامّها وخاصّها، ومجملها ومبيّنها.

٤- الاستعانة بالقرائن العقليّة والنقليّة في تفسير آيات الأحكام.

٥- الاستفادة من المناهج المختلفة في التفسير، كالمنهج الاجتهاديّ والعقليّ، وتفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنّة.

✓ **أبرز المدارس التفسيرية في الاتّجاه الفقهيّ**

يختلف لون الاتّجاه الفقهيّ في التفسير، تبعاً لاختلاف المذاهب الفقهيّة،

---

(١) انظر: الرضائي: مناهج التفسير واتّجاهاته، ص٣٥٩-٣٦١، معرفة: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ٢/ ٨٠٥-٨٤٨.

(٢) انظر: الرضائي: مناهج التفسير واتّجاهاته، ص٣٦١، معرفة: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ٢/ ٨٠٥-٨٤٨.

ومن أبرزها الآتي[١]:

- **المدرسة الاولى: المذهب الفقهيّ الشيعيّ:** يتحرّك فقهاء الشيعة على أساس مذهب أهل البيت عليهم السلام، ويفسّرون آيات الأحكام بالاستفادة من الروايات الواردة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، بالإضافة إلى القرائن العقلية والنقلية الأخرى. ومن التفاسير الفقهيّة عند الشيعة الآتي:

١- أحكام القرآن (فقه القرآن): الراوندي (ت: ٥٧٣هـ.ق).

٢- زبدة البيان في أحكام القرآن: المقدّس الأردبيلي (ت: ٩٩٣هـ.ق).

٣- كنز العرفان في فقه القرآن: السيوري، المشهور بالفاضل المقداد (ت: ٨٢٦هـ.ق).

٤- تفسير شاهي: السيّد أمير الفتوح الحسيني الجرجاني (ت: ٩٧٦هـ.ق) باللغة الفارسية.

٥- مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام: جواد الكاظمي (توفي في القرن الحادي عشر الهجري).

٦- تفسير آيات الأحكام: السيّد محمّد حسين الطباطبائي اليزدي (ت: ١٣٨٦هـ.ق).

- **المدرسة الثانية: مدرسة الفقه الشافعي:** يُطلق على أتباع محمّد بن إدريس الشافعيّ (ت: ٢٠٤هـ.ق) في الفقه لقب الشافعيّة، حيث ذهبوا في تفسير آيات الأحكام طبقاً لآرائه الفقهيّة. ومن أبرز كتبهم في التفسير الفقهيّ الآتي:

١- أحكام القرآن: المنسوب إلى الشافعيّ.

---

(١) انظر: المصادر نفسها، ص٣٦٢- ٣٦٤، ٨٠٥/٢-٨٤٨.

٢- أحكام القرآن: الهرّاسي (ت: ٥٠٤هـ.ق).
٣- نيل المرام من تفسير آيات الأحكام: أبو الطيب سيّد محمّد صدّيق بن حسن خان القنوجي البخاري (ت: ١٣٠٧هـ.ق).

- **المدرسة الثالثة: مدرسة الفقه المالكي:** يُطلق على أتباع مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ.ق) لقب المالكية، وقد فسّروا آيات الأحكام طبقاً لآرائه الفقهيّة، ومن أبرز كتبهم في التفسير الفقهيّ:

١- أحكام القرآن: أبو بكر بن العربي (ت: ٥٤٣هـ.ق).
٢- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (ت: ٦٧١هـ.ق).

المدرسة الرابعة: مدرسة الفقه الحنفيّ:

يُطلق على أتباع أبي حنيفة النعمان بن ثابت (٨٠-١٥٣هـ.ق) في الفقه لقب الحنفية، حيث فسّروا آيات الأحكام على أساس آراء أبي حنيفة الفقهية. ومن أبرز كتبهم في التفسير الفقهيّ:

١- أحكام القرآن: الجصّاص (ت: ٣٧٠هـ.ق).
٢- التفسيرات الأحمدية: أحمد بن أبي سعيد بن عبد الله (ت: ١١٣٠هـ.ق)، المعروف باسم «ملاجيون» الحنفي.

المدرسة الخامسة: مدرسة الفقه الحنبليّ.

يُطلق على أتباع أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ.ق) في الفقه لقب الحنابلة، حيث ذهبوا في تفسير آيات الأحكام طبقاً لآراء أحمد الفقهية، ومن أبرز كتبهم في التفسير الفقهيّ:

١- آيات الأحكام: محمّد بن الحسين بن محمّد بن الفرّاء (ت: ٤٥٨هـ.ق).
٢- تفسير آيات الأحكام: شمس الدِّين محمّد أبو بكر الدمشقي المشهور بابن قيّم الجوزية (ت: ٧٥١هـ.ق).

٣- أحكام الرأي من أحكام الآلاء: شمس الدِّين محمّد بن عبد الرحمن ابن الصايغ (ت: ٧٧٦هـ.ق).

✓ **تبصرة وتذكير.**

١- يوجد بعض الكتب التي تناولت تفسير آيات الأحكام بطريقة مقارنة، مثل:

أ- تفسير آيات الأحكام: محمّد علي السايس (ت: ١٣٩٦هـ.ق).

ب- روائع البيان في تفسير آيات الأحكام: محمّد علي الصابوني (معاصر).

ج- تفسير آيات الأحكام: السيد محمد حسين الطباطبائي اليزدي (ت: ١٣٨٦هـ.ق).

٢- تناول بعض الكتب آيات الأحكام على الطريقة الموضوعية، مثل:

أ- أحكام القرآن: محمّد الخزائلي (معاصر).

ب- آيات الأحكام: زين العابدين القرباني (معاصر).

٣- تناول بعض الكتب آيات الأحكام على الطريقة الترتيبية، مثل:

أ- آيات الأحكام: أحمد ميرخاني (معاصر).

ب- آيات الأحكام: السيّد محمّد حسين الطباطبائي اليزدي.

✓ **نماذج تطبيقيّة للاتّجاه الفقهيّ في تفسير القرآن الكريم.**

اولاً: تحديد «كيفيّة الوضوء» في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ﴾[1]، قال الفاضل المقداد السيوري في تفسير كنز

(١) سورة المائدة/ الآية ٦.

العرفان في فقه القرآن بصدد تفسير هذه الآية، وبيانه قول الإماميّة وأقوال المذاهب الفقهيّة الأخرى: «﴿وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ﴾. قيل: الباء للتّبعيض، لأنّه الفارق بين مسحت بالمنديل، ومسحت المنديل. وقيل: زائدة، لأنّ المسح متعدّ بنفسه، ولذلك أنكر أهل العربيّة إفادة التبعيض. والتحقيق أنّها تدلّ على تضمين الفعل معنى الإلصاق، فكأنّه قال: ألصقوا المسح برؤوسكم، وذلك لا يقتضي الاستيعاب ولا عدمه، بخلاف: امسحوا رؤوسكم، فإنّه، كقوله: ﴿فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾. ثمّ اختلف في القدر الواجب مسحه، فقال أصحابنا (المذهب الإماميّ): أقلّ ما يقع عليه اسم المسح أخذاً بالمتيقن، ولنصّ أئمّتهم عليهم السلام، وبه قال الشافعي (المذهب الشافعيّ). وقال أبو حنيفة (المذهب الحنفيّ): ربع الرّأس، لأنّه عليه السلام (أي النبيّ صلى الله عليه وآله) مسح على ناصيته وهو قريب من الرّبع. وهو غلط. ومالك (المذهب المالكيّ) يمسح الجميع.

وقوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾. قرأ نافع وابن عامر والكسائي وحفص بالنّصب، عطفاً على محلّ برؤوسكم، إذ الجارّ والمجرور محلَّه النّصب على المفعوليّة، كقولهم: مررت بزيد وعمرو. وقرئ: ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾[1]. وكقول الشاعر:

معاوي إنّنا بشر فأسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدا

وقرأ الباقون بالجرّ، عطفاً على رؤوسكم، وهو ظاهر. فإذاً القراءتان دالّتان على معنى واحد، وهو وجوب المسح، كما هو مذهب أصحابنا الإماميّة (المذهب الإماميّ)، ويؤيّده ما رووه عن النبيّ صلى الله عليه وآله: أنّه توضّأ ومسح قدميه ونعليه. ومثله عن عليّ عليه السلام وابن عبّاس، وأيضاً عن

(١) سورة المؤمنون/ الآية ٢٠.

ابن عبّاس: أنّه وصف وضوء رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فمسح رجليه. وإجماع أئمّة أهل البيت عليهم السلام على ذلك، قال الصّادق عليه السلام: «**يأتي على الرّجل الستّون أو السّبعون ما قبل اللّه منه صلاة**»، قيل له: وكيف ذلك؟ قال: «لأنّه يغسل ما أمر اللّه بمسحه». وغير ذلك من الرّوايات. وقال ابن عبّاس وقد سئل عن الوضوء: غسلتان ومسحتان. وقال الفقهاء الأربعة (المذهب الشافعيّ/ المذهب المالكيّ/ المذهب الحنفيّ/ المذهب الحنبليّ) بوجوب الغسل، محتجّين بقراءة النصب، عطفاً على وجوهكم، أو أنّه منصوب بفعل مقدّر - أي: (فاغسلوا أرجلكم)، كقولهم: علّفتها تبناً وماء بارداً، أراد وسقيتها. وقوله: متقلّداً سيفاً ورمحاً، أي ومعتقلاً رمحاً - ويؤيّده قراءة وأرجلكم بالرّفع - أي وأرجلكم مغسولة - وأمّا قراءة الجرّ فيه فبالمجاورة، كقوله تعالى: ﴿عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾، بجرّ أليم، وقراءة حمزة: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾، فإنّه ليس معطوفاً على قوله: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ﴾ وما قبله، وإلّا لكان تقديره يطوف عليهم ولدان مخلّدون بحور عين، لكنّه غير مراد، بل هم الطّائفون لا المطوف بهم، فيكون جرّه على مجاورة لحم طير، ولأنّ القول بالغسل قول أكثر الأمّة.

والجواب عن الأوّل: بأنّ العطف على وجوهكم حينئذ مستهجن، إذ لا يقال: ضربت زيداً وعمرواً وأكرمت خالداً وبكراً، ويجعل بكراً عطفاً على زيداً وعمراً المضروبين هذا، مع أنّ الكلام إذا وجد فيه عاملان عطف على الأقرب منهما، كما هو مذهب البصريّين، وشواهده مشهورة، خصوصاً مع عدم المانع، كما في المسألة، فإنّ العطف على الرّؤوس لا مانع منه لغةً ولا شرعاً. وأمّا النّصب بفعل مقدّر، فإنّه إنّما يجوز ويضطرّ إلى التّقدير، إذا لم يمكن حمله على اللّفظ المذكور، كما مثّلتم. وأمّا

هيهنا فلا، لما قلنا من العطف على المحلّ. وأمّا قراءة الرفع فيحتمل أيضاً مذهبنا: أي وأرجلكم ممسوحة، بل هو أولى، لقرب القرينة.

وعن الثّاني: بأنّ إعراب المجاورة ضعيف جدّاً لا يليق بكتاب اللّه، خصوصاً وقد أنكره أكثر أهل العربيّة هذا، مع أنّه إنّما يجوّز بشرطين: الأوّل: عدم الالتباس، كقولهم: جحر ضبّ خرب، فإنّه لا التباس في أنّ الخرب صفة للجحر، بخلافه هنا، فإنّ الأرجل يمكن أن يكون ممسوحة ومغسولة.

- إن قلت: الالتباس زائل بالتحديد بالغاية، فإنّ التحديد، إنّما هو للمغسول، كالأيدي إلى المرافق. قلت: جاز في شرعنا اختلاف المتّفقات في الحكم وبالعكس، فلا يزول الالتباس. الثّاني: أن لا يكون معه حرف عطف، كالمثال، وهنا حرف عطف.
- إن قلت: قد جاء مع العطف، كقوله:

فهل أنت إن ماتت أتانك راحل إلى آل بسطام بن قيس فخاطب

جرّ خاطباً مع حرف العطف، وهو الفاء. قلت: إنّ المراد رفع خاطب، عطفاً على راحل، وإنّما جرّه وهماً أو إقواءً، أو أنّ المراد، فخاطب فعل أمر لا أنّه اسم فاعل، وكسره للقافية. وأمّا قراءة أليم، فلعدم الالتباس بيوم. وحور عين مجرور عطفاً على جنّات، أي المقرّبون في جنات ومصاحبة حور عين، وذلك لأنّ الجرّ بالجوار مع الواو ممنوع.

وعن الثالث: بالمنع من كونه حجّة مع مخالفة علماء أهل البيت، خصوصاً وقد بيّنّا وروده من طرقكم، ولهذا كان الجبائيّ يغسل ويمسح ويفتي بالجمع بينهما، ثمّ الكلام في إلى، كالّذي تقدّم في احتمال المعيّة والغاية، والأقوى عندي الثّاني، والغاية للممسوح، فلا دلالة على

الابتداء، وفروع المسح المتقدّمة آتية هنا فيجوز، ولو بإصبع، ومنكوساً، وغير مستقيم، نعم محلّه ظاهر القدم للبيان. وأمّا الكعبان: فملتقى الساق والقدم. والناتيان لا شاهد لهما لغةً ولا عرفاً ولا شرعاً.

وقيل: لو أريد ملتقى الساق والقدم، لقال: إلى الكعاب إذ كلّ رجل لها كعبان: أجيب بأنّ المراد الكعبان من كلّ رجل. وبأنّ أبا عبيدة قال: الكعب هو الذي في أصل القدم ينتهي إليه الساق بمنزله كعاب القنا»[1].

ثانياً: تحديد سهام الخمس ومصارفه: قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]، قال الفاضل المقداد السيوري في تفسير كنز العرفان في فقه القرآن بصدد تفسير هذه الآية، وبيانه قول الإماميّة وأقوال المذاهب الفقهيّة الأخرى: «اتّفق علماء الجمهور (أهل السنّة) على أنّ اسم اللّه هنا للتبرّك، وأنّ قسمة الخمس على الخمسة المذكورين في الآية في حياة الرسول صلى الله عليه وآله، وأنّ المراد بذي القربى هم بنو هاشم وبنو (عبد) المطّلب، دون بني عبد الشمس، وبني نوفل، لقوله عليه السلام: «**إنّ بني المطّلب ما فارقونا في جاهليّة ولا إسلام، وبنو هاشم وبنو المطّلب شيء واحد، وشبّك بين أصابعه، وإنّ الثلاثة الباقية من باقي المسلمين**». وأمّا بعد حياة الرسول صلى الله عليه وآله، فقال مالك (المذهب المالكيّ): الأمر فيه إلى الإمام يصرفه إلى ما يراه أهمّ من وجوه القرب. وقال أبو حنيفة (المذهب الحنفيّ): يسقط سهمه صلى الله عليه وآله وسهم ذي القربى وصار الكلّ مصروفاً إلى الثلاثة الباقية من المسلمين، وقال الشافعيّ (المذهب الشافعيّ): إنّ سهم

(١) السيوري: كنز العرفان في فقه القرآن، ص ١٠-١٨.

(٢) سورة الأنفال/ الآية ٤١.

الرسول ﷺ يصرف إلى ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين، وقيل: إلى الإمام، وقيل: إلى الأقسام الأربعة. ونقل الزمخشري (وهو حنبليّ المذهبّ) في الكشّاف عن ابن عباس أنّه كان يقسّم على ستّة: للّه والرسول سهمان، وسهم لأقاربه، حتّى قبض، فأجرى أبو بكر الخمس على ثلاثة، وكذلك روي عن عمر وباقي الخلفاء بعده، قال: وروي أنّ أبا بكر منع بني هاشم من الخمس، وقال: إنّما لكم أن يعطى فقيركم ويزوّج أيّمكم ويخدم من لا خادم له منكم، فأمّا الغنيّ منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غنيّ لا يعطى من الصدقة شيئاً ولا يتيم موسر. ونقل عن عليّ عليه السلام أنّه قيل له: إنّ اللّه تعالى يقول: ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾، فقال: «**أيتامنا ومساكيننا**». وعن الحسن البصريّ أنّ سهم رسول اللّه ﷺ لوليّ الأمر بعده هذا.

وقال أصحابنا الإماميّة (المذهب الإماميّ) إنّه يقسم ستّة أقسام، ثلاثة للرسول ﷺ في حياته وبعده للإمام القائم مقامه، وهو المعني بذي القربى، والثلاثة الباقية لمن سمّاهم اللّه تعالى من بني عبد المطّلب خاصّة دون غيرهم. وقولهم هو الحقّ، أمّا أوّلاً: فلأنّه لا يلزمهم مخالفة الآية الكريمة، بسبب إسقاط سهم اللّه من البين، وكذا إسقاط سهم الرسول ﷺ بعد حياته. وأمّا ثانياً، فلما ورد من النقل الصحيح عن أئمّتنا عليهم السلام، وكذا نقله الخصم عن عليّ عليه السلام، وعن ابن عبّاس، كما حكيناه عن الزمخشريّ. وأمّا ثالثاً، فلأنّا إذا أعطيناه لفقراء ذوي القربى من اليتامى والمساكين وابن السبيل، جاز بالإجماع وبرئت الذمّة يقيناً، وإذا أعطيناه غيرهم، لم يجز عند الإماميّة، فكان التخصيص بذوي القربى أحوط. إن قلت: لفظ الآية عامّ. قلت: ما من عامّ إلّا وقد خصّ، فهذا مخصوص بما رويناه عن أئمّة الهدى، كزين العابدين والباقر والصادق وأولادهم عليهم السلام، على أنّا نقول لفظ الآية عامّ مخصوص بالاتّفاق، فإنّ ذي القربى مخصوص

ببني هاشم، واليتامى والمساكين وابن السبيل عامّ في المشرك والذمّيّ وغيرهم، مع أنّه مخصوص بمن ليس كذلك. قال السيّد المرتضى: كون ذي القربى مفرداً يدلّ على أنّه الإمام القائم مقام النبيّ ﷺ، إذ لو أراد الجميع لقال ذوي (القربى). وفيه نظر، لجواز إرادة الجنس. قوله: إذ لو كان المراد جميع قرابات بني هاشم لزم أن يكون ما عطف عليه، أعني اليتامى والمساكين وابن السبيل من غيرهم، لا منهم، لأنّ العطف يقتضي المغايرة. وفيه نظر - أيضاً -، لجواز عطف الخاصّ على العامّ، لمزيد فائدة ووفور عناية، فالأَولى حينئذ الاعتماد في هذه المجملات على بيانه ﷺ وبيان الأئمّة عله بعده»[1].

✓ **بيان المفاهيم الرئيسة.**

١- الاتّجاه الفقهيّ هو تأثير ذوق المفسّر وخلفيّاته الفقهيّة في عمليّة تفسيره للقرآن وفهم معانيه وبيان مقاصده.

٢- بعد نشوء المذاهب الفقهية في القرن الثاني الهجريّ وما بعده، قام أتباع المذاهب وعلماؤها، كالشيعة، والحنفية، والمالكية، والحنابلة والشافعيّة وغيرهم بتفسير آيات الأحكام وتأليف الكتب في هذا المجال. وما زال هذا الاتّجاه فاعلاً في النتاج التفسيريّ إلى واقعنا المعاصر.

٣- أكثر ما يهتمّ به المفسِّر في الاتّجاه الفقهيّ هو الآتي: آيات الأحكام/ استنباط الأحكام الشرعيّة الفرعية عن طريق آيات القرآن/ التركيز على خصائص آيات الأحكام/ الاستعانة بالقرائن العقليّة والنقليّة في تفسير آيات الأحكام.

٤- يختلف لون الاتّجاه الفقهيّ في التفسير، تبعاً لاختلاف المذاهب الفقهيّة، ومن أبرزها الآتي: المذهب الفقهيّ الشيعيّ، المذهب الفقهيّ

(١) السيوري: كنز العرفان في فقه القرآن، ٢٤٩/١-٢٥١.

الشافعيّ، المذهب الفقهيّ المالكيّ، المذهب الفقهيّ الحنفيّ، المذهب الفقهيّ الحنبليّ، ...

✓ **اسئلة تقويمية.**

١- عرّف الاتّجاه الفقهيّ في التفسير، مبيّناً اهتمامات المفسّر فيه؟.

٢- ما هي أبرز المدارس الفقهيّة في التفسير، وما هي أبرز خصائصها؟

٣- اذكر أنموذجاً تطبيقيّاً مقارناً للاتّجاه الفقهيّ في التفسير عند أكثر من مدرسة فقهيّة تفسيريّة؟.

✓ قراءة **تفسير كنز العرفان في فقه القرآن.**[١]

هذا التفسير من تأليف أبي عبد الله جمال الدين المقداد بن عبد الله بن محمّد بن الحسين بن محمّد السُيوريّ الحلّيّ الأسديّ (ت: ٨٢٨هـ.ق).

تناول المؤلّف في تفسيره آيات الأحكام ودرسها دراسة وافية على غِرار دراستها في الكتب الفقهيّة، وعمّق النظر فيها، وخاض فيها خوض المضطلع الخبير.

كما أنّه أودع فيها فوائد هي فرائد جُمان، مما استلفت إليه الأنظار واستجلب دقائق الأفكار. فكان من جاء بعده عيالاً عليه، يستمدّ من موائده الثريّة، ويستلهم من عوائده الغنيّة.

وهو يتعرّض في تفسيره إلى مختلف الآراء ويناقشها مناقشة حرّة من غير ما يجرفه التعصّب أو يزلّ به التعسّف، فهو إن كان ينصر مذهبه يتكلّم في ضوء برهان واستدلال برئ، ما ينبّئ عن سعة باع، وتضلّع في الأدب واللغة والبيان.

وطبع هذا الكتاب في جزئين في مجلّد واحد طبعة أنيقة.

(١) انظر: معرفة: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ٨٤٣/٢ - ٨٤٥.

المحاضرة الحادية عشر
الاتّجاه الفلسفيّ في تفسير القرآن الكريم

✓ **أهداف المحاضرة.**

- **ان من اهم اهداف المحاضرة هي: أن يكون المتلقي في نهاية المحاضرة قادر على أن:**

١- يتعرّف إلى الاتجاه الفلسفيّ في تفسير القرآن الكريم، ونشأته وتاريخه وأبرز مدارسه.

٢- يتعرّف إلى ضوابط استخدام الاتجاه الفلسفيّ في التفسير وشروطه.

٣- يتدرّب على نماذج تطبيقية في التفسير وفق الاتجاه الفلسفي.

✓ **تعريف الاتّجاه الفلسفيّ في تفسير القرآن الكريم.**

الاتجاه الفلسفي في التفسير: تأثير ذوق المفسّر وخلفيّاته الفلسفيّة في عمليّة تفسيره للقرآن وفهم معانيه وبيان مقاصده.

✓ **نشأة الاتّجاه الفلسفيّ في تفسير القرآن الكريم وتاريخه.**

بدأ هذا الاتّجاه بالتبلور والظهور في أوائل القرن الثاني الهجريّ، وذلك بفعل ترجمة الآثار الفلسفيّة عند اليونان والهند وفارس ودخول أفكارها إلى البيئة المعرفيّة الإسلاميّة، ما أدّى إلى ظهور توجّهات مختلفة لدى المسلمين في رفض هذه الآراء أو تأييدها، بالاستناد إلى القرآن الكريم، أضف إلى ذلك العلاقة المعرفيّة التي تربط علم الفلسفة بعلم الكلام، وما نشأ في هذه الفترة من إشكاليّات كلاميّة استدعت معالجة عقليّة فلسفيّة. وقد تبلور هذا الاتّجاه في القرون اللاحقة، فظهرت تفاسير فلسفيّة كثيرة، تستفيد من النتاج الفلسفيّ المتداول في عصر تدوينها في فهم القرآن وتفسيره، واستمرّ هذا الاتّجاه بالتداول به في عمليّة التفسير بين المفسّرين إلى عصرنا الحالي[1].

(١) انظر: الرضائي، مناهج التفسير واتّجاهاته، ص٣٧٦-٣٧٧.

✓ **اهتمامات الاتّجاه الفلسفيّ في تفسير القرآن الكريم.**

أغلب ما يهتمّ به المفسِّر في الاتّجاه الفلسفيّ هو الآتي[١]:

١- الآيات المتعلّقة بوجود الله تعالى وصفاته وأفعاله.

٢- الآيات المتشابهة.

٣- تأويل ظواهر القرآن، بما ينسجم مع الآراء الفلسفيّة.

٤- الآيات التي تشكّل مؤيّدات وشواهد على الآراء الفلسفيّة.

٥- الاستفادة من المناهج المختلفة في التفسير، كالمنهج الاجتهاديّ والعقليّ، وتفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنّة.

✓ **أبرز المدارس الفلسفيّة.**

يختلف لون الاتّجاه الفلسفيّ في التفسير، تبعاً لاختلاف المدارس الفلسفيّة، ومن أبرزها الآتي[٢]:

- **المدرسة الاولى: المدرسة المشائيّة**[٣]: يُطلق هذا الاصطلاح على المنهج الفلسفيّ الذي يرجع بجذوره إلى أفكار أرسطو، ويُعدّ كلّ من ابن سينا (٣٧٠-٤٢٨هـ.ق) والفارابي من أبرز الفلاسفة المسلمين عناية بهذا المنهج. ومن أبرز التفاسير الفلسفيّة المشائيّة، هو:

تفسير ابن سينا: أبو علي حسين بن عبد الله بن الحسين (ابن سينا).. وله أيضاً كتاب النيروزية في معاني الحروف الهجائيّة.

---

(١) انظر: م.ن: ص٣٧٧-٣٧٨.

(٢) انظر: الرضائي: مناهج التفسير واتّجاهاته، ص٣٧٨-٣٧٩.

(٣) يُنقل عادةً لتسمية هذه المدرسة بالمشّائية سببان أساسيّان: الأوّل: أن مؤسّسها أرسطو كان يعلّم الحكمة دائماً وهو في حال المشي.
الثاني: إنّ الروح العامّة التي تحكم هذه الفلسفة هي الاهتمام بالإلهيّات خصوصاً، وبأبحاث الفلسفة الأولى عموماً.

- **المدرسة الثانية: المدرسة الإشراقيّة**[1]: ويُطلَق هذا الاصطلاح على المنهج الفلسفيّ الذي يرجع بجذوره إلى الأفكار الأفلاطونية وفلسفة فارس. ويُعدّ الشيخ شهاب الدين السهروردي (٥٤٩-٥٨٧هـ.ق)، من أشدّ الفلاسفة المسلمين عناية بهذا المنهج، حيث ظهر هذا الاتّجاه في مؤلّفاته التي تناول فيها تفسير القرآن.
- **المدرسة الثالثة: مدرسة الحكمة المتعالية:** ويُطلَق هذا الاصطلاح على المنهج الفلسفيّ الذي أسّسه الشيخ صدر الدين الشيرازيّ (ت: ١٠٥٠هـ.ق)، ومن أبرز التفاسير الفلسفيّة وفق مدرسة الحكمة المتعالية، الآتي:

١- تفسير القرآن العظيم: صدر الدين الشيرازي. وله - أيضاً - كتاب أسرار الآيات.

٢- تحفة الأبرار في تفسير القرآن: الملا محمد الملائكة (القرن الثاني).

٣- تفسير رضوان: الميرزا عبد الوهاب (ت: ١٢٩٤هـ.ق).

٤- مخزن العرفان: السيدة الأصفهانية (ت: ١٤٠٣هـ.ق).

٥- الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي.

✓ **نماذج تطبيقيّة للاتّجاه الفلسفيّ في تفسير القرآن الكريم.**

أولاً: حقيقة إحاطة الله تعالى بالأشياء في قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2]، قال العلّامة الطباطبائيّ قدس سره في تفسير الميزان بصدد تفسيره لهذه الآية: «لمّا كان تعالى قديراً على كلّ شيء مفروض، كان محيطاً بقدرته على كلّ شيء من كلّ جهة، فكلّ ما

(١) يعدّ الشيخ شهاب الدين السهروردي شيخ الإشراق، زعيماً لهذه المدرسة في العصر الإسلاميّ.

(٢) سورة الحديد/ الآية ٣.

فُرِضَ أولاً، فهو قبله، فهو الأوّل دون الشيء المفروض أولاً، وكلّ ما فُرِضَ آخراً فهو بعده، لإحاطة قدرته به من كلّ جهة، فهو الآخر دون الشيء المفروض آخراً، وكلّ شيء فُرِضَ ظاهراً، فهو أظهر منه، لإحاطة قدرته به من فوقه، فهو الظاهر دون المفروض ظاهراً، وكلّ شيء فُرِضَ أنّه باطن، فهو تعالى أبطن منه، لإحاطته به من ورائه، فهو الباطن دون المفروض باطناً، فهو تعالى الأوّل والآخر والظاهر والباطن على الإطلاق، وما في غيره تعالى من هذه الصفات فهي إضافيّة نسبيّة.

وليست أوّليّته تعالى ولا آخريّته ولا ظهوره ولا بطونه زمانيّة ولا مكانيّة، بمعنى مظروفيّته لهما، وإلا لم يتقدّمهما ولا تنزّه عنهما سبحانه، بل هو محيط بالأشياء، على أيّ نحو فُرِضَت، وكيفما تُصُوِّرَت. فبان ممّا تقدّم أنّ هذه الأسماء الأربعة، الأوّل والآخر والظاهر والباطن، من فروع اسمه المحيط، وهو فرع إطلاق القدرة، فقدرته محيطة بكلّ شيء.

ويمكن تفريع الأسماء الأربعة على إحاطة وجوده بكلّ شيء، فإنّه تعالى ثابت قبل ثبوت كلّ شيء، وثابت بعد فناء كلّ شيء، وأقرب من كلّ شيء ظاهر، وأبطن من الأوهام، والعقول من كلّ شيء خفي باطن. وكذا للأسماء الأربعة نوع تفرّع على علمه تعالى ويناسبه تذييل الآية بقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾»[1].

ثانياً: حقيقة العرش في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[2]، قال العلّامة

(١) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ١٤٥/١٩.

(٢) سورة الأعراف/ الآية ٥٤.

الطباطبائيّ قدس سره في تفسير الميزان بصدد تفسيره لهذه الآية: «قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[١]، ويقرب من قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾[٢] في الإشارة إلى كون العرش مقاماً تنتشئ فيه التدابير العامّة، وتصدر عنه الأوامر التكوينيّة، قوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[٣]، وهو ظاهر. وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾[٤]، فإنّ الملائكة هم الوسائط الحاملون لحكمه، والمجرون لأمره، العاملون بتدبيره، فليكونوا حافّين حول عرشه. وكذا قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[٥]، وفي الآية مضافاً إلى ذِكْر احتفافهم بالعرش، شيء آخر، وهو أنّ هناك حملة يحملون العرش، وهم لا محالة أشخاص يقوم بهم هذا المقام الرفيع والخلق العظيم الذي هو مركز التدابير الإلهية ومصدرها، ويؤيّد ذلك ما في آية أخرى، وهي قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[٦]. وإذ كان العرش هو المقام الذي يرجع إليه جميع أزمة التدابير الإلهية والأحكام الربوبيّة الجارية في العالم، كما سمعت، كان فيه صور جميع الوقائع بنحو الإجمال، حاضرة عند الله، معلومة له، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

(١) سورة السجدة/ الآية ٤.
(٢) سورة يونس/ الآية ٣.
(٣) سورةالبروج/ الآيتان ١٥ - ١٦.
(٤) سورة الزمر/ الآية ٧٥.
(٥) سورة غافر/ الآية ٧.
(٦) سورة الحاقة/ الآية ١٧.

بَصِيرٌ﴾[١]، فقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾، يجري مجرى التفسير للاستواء على العرش، فالعرش مقام العلم، كما أنّه مقام التدبير العام الذي يسع كلّ شيء، وكلّ شيء في جوفه. ولذلك هو محفوظ بعد رجوع الخلق إليه تعالى لفصل القضاء، كما في قوله: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾، وموجود مع هذا العالم المشهود، كما يدلّ عليه آيات خلق السماوات والأرض، وموجود قبل هذه الخلقة، كما يدل عليه قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[٢]»[٣]..

✓ **بيان المفاهيم الرئيسة.**

١- الاتّجاه الفلسفيّ هو تأثير ذوق المفسّر وخلفيّاته الفلسفيّة في عمليّة تفسيره للقرآن وفهم معانيه وبيان مقاصده.

٢- بدأ هذا الاتّجاه بالتبلور والظهور في أوائل القرن الثاني الهجريّ. وقد تبلور هذا الاتّجاه في القرون اللاحقة، فظهرت تفاسير فلسفيّة كثيرة، تستفيد من النتاج الفلسفيّ المتداول في عصر تدوينها في فهم القرآن وتفسيره، واستمرّ هذا الاتّجاه بالتداول به في عمليّة التفسير بين المفسّرين إلى عصرنا الحاليّ.

٣- أغلب ما يهتمّ به المفسِّر في الاتّجاه الفلسفيّ هو الآتي: الآيات المتعلّقة بوجود الله تعالى وصفاته وأفعاله / الآيات المتشابهة / تأويل ظواهر القرآن، بما ينسجم مع الآراء الفلسفيّة / الآيات التي تشكّل مؤيّدات وشواهد على الآراء الفلسفيّة.

---

(١) سورة الحديد/ الآية ٤.

(٢) سورة هود/ الآية ٧.

(٣) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ٨/١٥٨-١٥٩.

٤- يختلف لون الاتّجاه الفلسفيّ في التفسير، تبعاً لاختلاف المدارس الفلسفيّة، ومن أبرزها الآتي: المدرسة المشائيّة، المدرسة الإشراقيّة، مدرسة الحكمة المتعالية.

✓ **أسئلة تقويمية.**

١- عرّف الاتّجاه الفلسفيّ في التفسير، مبيّناً اهتمامات المفسّر فيه؟.

٢- ما هي أبرز المدارس الفلسفيّة في التفسير؟ وما هي أبرز خصائصها؟

٣- اذكر أنموذجاً تطبيقيّاً للاتّجاه الفلسفيّ في التفسير؟.

✓ **قراءة تفسير الميزان**[1].

هذا التفسير من تأليف العلّامة الحكيم السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ (١٣٢١ - ١٤٠٢هـ.ق)، وهو تفسير جامع حافل بمباحث نظريّة تحليليّة ذات صبغة فلسفيّة في الأغلب، جمع فيه المؤلّف إلى جانب الأنماط التفسيريّة السائدة، أموراً ممّا أثارته النهضة الحديثة في التفسير، فقد تصدّى لما يثيره أعداء الإسلام من شبهات، وما يضلّلون به من تشويه للمفاهيم الإسلاميّة، بروح اجتماعيّة واعية، على أساس من القرآن الكريم، وفهم عميق لنصوصه الحكيمة، ولهذا التفسير القيّم مزايا جمّة نشير إلى أهمّها:

١- جمع بين نمطّي التفسير: الموضوعيّ والترتيبيّ، فقد فسّر القرآن آية فآية وسورة فسورة. لكنّه إلى جنب ذلك، نراه يجمع الآيات المتناسبة بعضها مع البعض، ليبحث عن الموضوع الجامع بينها، كلّما مرّ بآية ذات هدف موضوعيّ، وكانت لها نظائر منبثّة في سائر القرآن.

٢- عنايته التامّة بجانب الوحدة الموضوعيّة السائدة في القرآن، كلّ سورة هي ذات هدف أو أهداف معيّنة، هي تشكّل بنيان السورة

(١) انظر: معرفة: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ١٠٢٥/٢-١٠٢٧.

بالذات، فلا تتمّ السورة إلّا عند اكتمال الهدف الموضوعيّ الذي رامته السورة، وبذلك نجد السور تتفاوت في عدد آياتها.

٣- نظريّة «الوحدة الكلّيّة» الحاكمة على القرآن كلّه، باشتماله على روح كليّة سارية في جميع آياته وسوره، وتلك الروح هي التي تشكّل حقيقة القرآن الأصليّة السائدة على أبعاضه وأجزائه.

٤- الاستعانة بمنهج «تفسير القرآن بالقرآن». فقد حقّق المؤلّف هذا الأمر وأوجده بعيان، إذ نراه يعتمد في تفسيره على القرآن ذاته، فيرى أنّ غير القرآن غير صالح لتفسير القرآن، بعد أن كان هو تبياناً لكلّ شيء، فيا تُرى كيف يكون القرآن تبياناً لكلّ شيء ولا يكون تبياناً لنفسه؟!

لكنّ التزام تفسير القرآن بنفسه، يتطلّب جهداً بالغاً وإحاطة تامّة من قِبَل المفسِّر، وهو ما تجده عند العلّامة الطباطبائي في تفسيره بقدرة فائقة في ذلك.

المحاضرة الثانية عشر
الاتّجاه الاجتماعيّ في تفسير القرآن الكريم

✓ **أهداف المحاضرة:** أنْ من أهم اهداف المحاضرة أن يكون المتعلّم قادراً في نهايتها على أن:

١- يتعرّف إلى الاتّجاه الاجتماعيّ في تفسير القرآن، ونشأته وتاريخه.

٢- يدرك اهتمامات التفاسير الاجتماعية وتوجّهاتها.

٣- يفهم ضوابط استخدام الاتّجاه الاجتماعيّ في تفسير القرآن، مع التدرّب على نماذج تطبيقيّة عليه.

✓ **تعريف الاتّجاه الاجتماعيّ في تفسير القرآن الكريم.**

الاتجاه الاجتماعي في التفسير: هو تأثير ذوق المفسّر وخلفيّاته الاجتماعيّة العصريّة في عمليّة تفسيره للقرآن وفهم معانيه وبيان مقاصده.

✓ **نشأة الاتّجاه الاجتماعيّ وتاريخه.**

نشأ هذا الاتّجاه في البحث والتفسير لدى المفسّرين في القرون الأخيرة، مع ظهور حركات الصحوة الإسلاميّة التي قام بها السيد جمال الدين الأفغاني الأسد آبادي (ت: ١٣١٥هـ.ق) في مصر، وتلميذه الشيخ محمد عبده (ت: ١٣٢٣هـ.ق)، من منطلق أنّ القرآن يواكب الحياة والعصرنة، وفيه حلول للمشاكل التي تواجه الإنسان في الحاضر والمستقبل. وقد تبلور هذا الاتّجاه بشكل سريع، حتّى ظهرت التفاسير الكثيرة التي تتناول تفسير القرآن من خلال مقاربات اجتماعية معاصرة تنطلق من الواقع المعاش إلى القرآن، بهدف الاستمداد منه في حلّ معضلات الواقع الاجتماعيّ السياسيّة والعسكريّة والاقتصاديّة والتربوية... وترشيد سير المجتمع الإنسانيّ ووجهته[1].

(١) انظر: الرضائي: مناهج التفسير واتّجاهاته، ص٣٨١-٣٨٣، معرفة: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، م.س، ج٢، ص٩٩٩-١٠٠١، ١٠٠٨-١٠٣٣، السبحاني، المناهج التفسيريّة، م.س، ١٠٤-١١٥.

✓ **أبرز اهتمامات الاتّجاه الاجتماعيّ في تفسير القرآن الكريم.**

إنَّ أغلب ما يهتمّ به المفسِّر في الاتّجاه الاجتماعيّ، هو الآتي[١]:

١- الآيات التي تتناول المسائل الاجتماعيّة.

٢- الانطلاق من مشاكل الواقع المعاصر إلى القرآن بحثاً عن حلول لها.

٣- الآيات التي تتناول التعاليم التربوية والأخلاقية.

٤- إيصال تعاليم القرآن إلى أكبر قدر من الناس.

٥- الاستفادة من المناهج المختلفة في التفسير، كالمنهج الاجتهاديّ والعقليّ، وتفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنّة.

✓ **أبرز التوجّهات الاجتماعيّة لهذا للمنهج التفسري.**

يمكن تحديد مجموعة من أبرز الاهتمامات التي يتناولها أصحاب هذا الاتّجاه التفسيريّ، وفق الآتي[٢]:

١- العلاقات الاجتماعيّة بين المسلمين.

٢- العلاقات الاجتماعية مع الشعوب الأخرى.

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤- المسائل الصحيّة والبيئيّة.

٥- التربية والتعليم.

٦- التعاون والتكافل الاجتماعيّ.

٧- العلوم الطبيعية والإنسانية.

٨- حرّيّة الإنسان.

---

(١) انظرمعرفة: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ج٢/٩٩٩-١٠٠١.

(٢) انظر: الرضائي: مناهج التفسير واتّجاهاته، ص٣٨٦-٣٨٨، معرفة، التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ٢ /٩٩٩-١٠٠١، السبحاني: المناهج التفسيريّة، ص ١٠٤-١١٥.

٩- الحكم وإدارة المجتمع.
١٠- الجهاد والدفاع، وغيرها من الاهتمامات التي تفرزها البيئة الاجتماعيّة المعاصرة للمفسّر.

✓ **أبرز التفاسير الاجتماعيّة.**

توجد مجموعة كبيرة من المؤلّفات التفسيريّة التي تُعنى بالاتّجاه الاجتماعيّ في التفسير، أبرزها الآتي:

١- تفسير جزء عمّ: الشيخ محمد عبده (ت: ١٣٢٣هـ.ق).
٢- تفسير المنار: الشيخ محمد عبده، وتلميذه محمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤هـ.ق).
٣- تفسير القاسمي (محاسن التأويل): جمال الدين أبو الفرج محمد بن محمد القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ.ق).
٤- تفسير المراغي: الشيخ أحمد مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ.ق).
٥- في ظلال القرآن: إبراهيم الشاذلي (سيد قطب) (ت: ١٣٨٦هـ.ق).
٦- الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (١٣٢١- ١٤٠٢هـ.ق).
٧- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (معاصر). وله أيضاً تفسير نفحات القرآن.
٨- من وحي القرآن: السيد محمد حسين فضل الله (١٣٥٤-١٤٣١هـ.ق).
٩- الكاشف: الشيخ محمد جواد مغنية (١٣٢٢-١٤٠٠هـ.ق).
١٠- الفرقان في تفسير القرآن: الدكتور محمد الصادقي الطهراني (معاصر).
١١- من هدي القرآن: السيد محمد تقي المدرسي (معاصر).
١٢- مفاهيم القرآن: الشيخ جعفر السبحاني (معاصر).

١٣- معارف القرآن: الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي (معاصر).
١٤- تفسير تسنيم: الشيخ عبدالله جوادي آملي (معاصر).
١٥- تفسير النور: الشيخ محسن قراءتي (معاصر).

✓ **نماذج تطبيقيّة للاتّجاه الاجتماعيّ في تفسير القرآن الكريم.**

١- **مفهوم «حرّيّة الإنسان»:** قال تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[1]، قال العلامة الطباطبائي قدس سره في تفسير الميزان في سياق تفسيره لهذه الآية: «الإنسان بحسب الخلقة موجود ذو شعور وإرادة له أن يختار لنفسه ما يشاء من الفعل، وبعبارة أخرى: له في كلّ فعل يقف عليه أن يختار جانب الفعل، وله أن يختار جانب الترك، فكلّ فعل من الأفعال الممكنة الإتيان، إذا عرض عليه، كان هو بحسب الطبع واقفاً بالنسبة إليه على نقطة يلتقي فيها طريقان: الفعل والترك، فهو مضطرّ في التلبّس والاتّصاف بأصل الاختيار، لكنّه مختار في الأفعال المنتسبة إليه الصادرة عنه باختياره، أي إنّه مطلق العنان بالنسبة إلى الفعل والترك، بحسب الفطرة غير مقيّد بشيء من الجانبين ولا مغلول، وهو المراد بحرّيّة الإنسان تكويناً.

ولازم هذه الحرّيّة التكوينيّة حرّيّة أخرى تشريعيّة يتقلّد بها في حياته الاجتماعيّة، وهو أنّ له أن يختار لنفسه ما شاء من طرق الحياة، ويعمل بما شاء من العمل، وليس لأحد من بنى نوعه أن يستعلي عليه، فيستعبده ويتملّك إرادته وعمله، فيحمل بهوى نفسه عليه ما يكرهه،

(١) سورة هود/ الآية ٨٨.

فإنّ أفراد النوع أمثال، لكلّ منهم ما لغيره من الطبيعة الحرّة، قال تعالى: ﴿وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ﴾[1]، وقال: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾[2] - إلى أن قال - ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللّهِ﴾. هذا ما للإنسان بالقياس إلى أمثاله من بني نوعه، وأمّا بالقياس إلى العلل والأسباب الكونيّة التي أوجدت الطبيعة الإنسانيّة، فلا حرّيّة له قبالها، فإنّها تملكه وتحيط به من جميع الجهات، وتقلّبه ظهراً لبطن، وهي التي بإنشائها ونفوذ أمرها فعلت بالإنسان ما فعلت، فأظهرته على ما هو عليه من البنيان والخواصّ، من غير أن يكون له الخيرة من أمره، فيقبل ما يحبّه، ويردّ ما يكرهه، بل كان كما أريد، لا كما أراد، حتى أنّ أعمال الإنسان الاختياريّة، وهي ميدان الحرّيّة الإنسانيّة، إنّما تطيع الإنسان فيما أذنت فيه هذه العلل والأسباب، فليس كلّ ما أحبّه الإنسان وأراده بواقع، ولا هو في كلّ ما اختاره لنفسه بموفّق له، وهو ظاهر.

وهذه العلل والأسباب هي التي جهّزت الإنسان بجهازات تذكّره حوائجه ونواقص وجوده، وتبعثه إلى أعمال فيها سعادته وارتفاع نواقصه وحوائجه، كالغاذية -مثلاً- التي تذكّره الجوع والعطش وتهديه إلى الخبز والماء لتحصيل الشبع والري، وهكذا سائر الجهازات التي في وجوده.

ثمّ إنّ هذه العلل والأسباب أوجبت إيجاباً تشريعيّاً على الإنسان الفرد أموراً ذات مصالح واقعيّة لا يسعه إنكارها، ولا الاستنكاف بالاستغناء عنها، كالأكل، والشرب، والإيواء، والاتّقاء من الحرّ والبرد، والدفاع تجاه كلّ ما يضادّ منافع وجوده.

---

(١) سورة آل عمران/ الآية ٦٤.

(٢) سورة آل عمران/ الآية ٧٩.

ثمّ أفطرته بالحياة الاجتماعيّة، فأذعن بوجوب تأسيس المجتمع المنزليّ والمدنيّ، والسير في مسير التعاون والتعامل، ويضطرّ ذلك إلى الحرمان عن موهبة الحرّيّة من جهتين: إحداهما: أنّ الاجتماع لا يتمّ من الفرد، إلا بإعطائه الأفراد المتعاونين له حقوقاً متقابلة محترمة عنده، ليعطوه بإزائها حقوقاً يحترمونها، وذلك بأنْ يعمل للناس، كما يعملون له، وينفعهم بمقدار ما ينتفع بهم، ويحرم عن الانطلاق والاسترسال في العمل على حسب ما يحرمهم، فليس له أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، بل هو حرّ فيما لا يزاحم حرّيّة الآخرين، وهذا حرمان عن بعض الحرّيّة للحصول على بعضها. وثانيتهما: أنّ المجتمع لا يقوم له صلب، دون أن يجري فيه سنن وقوانين يتسلّمها الأفراد المجتمعون أو أكثرهم، تضمن تلك السنن والقوانين منافعهم العامّة، بحسب ما للاجتماع من الحياة الراقية أو المنحطّة الرديّة، ويستحفظ بها مصالحهم العالية الاجتماعيّة.

ومن المعلوم أنّ احترام السنن والقوانين يسلب الحرّيّة عن المجتمعين في مواردها، فالذي يستنّ سنّة أو يقنّن قانوناً، سواء أكان هو عامّة المجتمعين أو المندوبين منهم أو السلطان أو كان هو الله ورسوله - على حسب اختلاف السنن والقوانين - يحرم الناس بعض حرّيّتهم، ليحفظ به البعض الآخر منها، قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾[2]. فتلخّص أنّ الإنسان، إنّما هو حرّ بالقياس

(١) سورة القصص/ الآية ٦٨.

(٢) سورة الأحزاب/ الآية ٣٦.

إلى أبناء نوعه، فيما يقترحونه لهوى من أنفسهم، وأمّا بالنسبة إلى ما تقتضيه مصالحه الملزمة، وخاصّة المصالح الاجتماعيّة العامّة، على ما تهديه إليها وإلى مقتضياتها العلل والأسباب، فلا حرّيّة له البتّة، ولا أنّ الدعوة إلى سنّة أو أيّ عمل يوافق المصالح الإنسانيّة، من ناحية القانون أو من بيده إجراؤه أو الناصح المتبرّع الذي يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر، متمسّكاً بحجّة بيّنة، من التحكّم الباطل وسلب الحرّيّة المشروعة في شيء. ثمّ إنّ العلل والأسباب المذكورة وما تهدي إليه من المصالح مصاديق لإرادة الله سبحانه أو إذنه - على ما يهدي إليه ويبيّنه تعليم التوحيد في الإسلام - فهو سبحانه المالك على الإطلاق، وليس لغيره، إلا المملوكيّة من كلّ جهة، ولا للإنسان، إلا العبوديّة محضاً، فمالكيّته المطلقة تسلب أيّ حرّيّة متوهّمة للإنسان بالنسبة إلى ربّه، كما أنّها هي تعطيه الحرّيّة بالقياس إلى سائر بنى نوعه، كما قال تعالى: ﴿أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ﴾[1]. فهو سبحانه الحاكم على الإطلاق، والمطاع من غير قيد وشرط، كما قال: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ﴾، وقد أعطى حقّ الأمر والنهي والطاعة لرسله ولأولي الأمر وللمؤمنين من الأمّة الإسلاميّة، فلا حرّيّة لأحد قبال كلمة الحقّ الذي يأتون به ويدعون إليه، قال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[3]»[4].

(١) سورة آل عمران/ الآية ٦٤.

(٢) سورة النساء/ الآية ٥٩.

(٣) سورة التوبة/ الآية ٧١.

(٤) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ١٠/٣٧٠-٣٧٣.

٢- **مفهوم «الأمن الاجتماعيّ»:** قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسير الأمثل بصدد تفسيره لهذه الآيات: «إنّ الأوامر أو التعليمات الستة الواردة في الآيتين آنفتي الذكر (النهي عن السخرية، واللمز، والتنابز بالألقاب، وسوء الظن، والتجسس، والاغتياب) إذا نفّذت في المجتمع، فإنّ سمعة وكرامة الأفراد في ذلك المجتمع تكون مضمونة من جميع الجهات، فلا يستطيع أحد أن يسخر من الآخرين - على أنّه أفضل - ولا يمدّ لسانه باللمز، ولا يستطيع أن يهتك حرمتهم باستعمال الألقاب القبيحة، ولا يحقّ له حتّى أن يسيء الظنّ بهم، ولا يتجسّس على حياة الأفراد الخاصّة، ولا يكشف عيوبهم الخفية (باغتيابهم).

وبتعبير آخر: إنّ للإنسان رؤوس أموال أربعة ويجب أن تحفظ جميعاً في حصن هذا القانون، وهي: (النفس، والمال، والناموس، وماء الوجه). والتعابير الواردة في الآيتين محلّ البحث والروايات الإسلاميّة تدلّ على أنّ ماء وجه الأفراد، كأنفسهم وأموالهم، بل هو أهمّ من بعض الجهات. الإسلام يريد أن يحكم المجتمع أمن مطلق، ولا يكتفي بأن يكفّ الناس

(١) سورة الحجرات/ الآيتان ١١-١٢.

عن ضرب بعضهم بعضاً فحسب، بل أسمى من ذلك، بأن يكونوا آمنين من ألسنتهم، بل وأرقى من ذلك، أن يكونوا آمنين من تفكيرهم وظنّهم أيضاً، وأن يحسّ كلّ منهم أنّ الآخر لا يرشقه بنبال الاتّهامات في منطقة أفكاره. وهذا الأمن في أعلى مستوى، ولا يمكن تحقّقه، إلا في مجتمع رساليّ مؤمن.

يقول النبيّ صلى الله عليه وآله في هذا الصدد: (**إنّ الله حرّم من المسلم دمه وماله وعرضه، وأن يظنّ به السوء**).

فإنّ سوء الظنّ لا أنّه يؤثّر على الطرف المقابل ويسقط حيثيّته فحسب؛ بل هو بلاء عظيم على صاحبه، لأنّه يكون سبباً لإبعاده عن التعاون مع الناس، ويخلق له عالماً من الوحشة والغربة والانزواء، كما ورد في حديث عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال: (**من لم يحسن ظنّه استوحش من كلّ أحد**).

وبتعبير آخر: إنّ ما يفصل حياة الإنسان عن الحيوان ويمنحها الحركة والرونق والتكامل هو روح التعاون الجماعيّ، ولا يتحقّق هذا الأمر، إلا في صورة أن يكون الاعتماد على الناس (وحسن الظنّ بهم) حاكماً. في حين أنّ سوء الظنّ يهدم قواعد هذا الاعتماد، وتنقطع به روابط التعاون، وتضعف به الروح الاجتماعية. وهكذا الحال في التجسّس والغيبة أيضاً. إنّ سيّئ النظرة والظنّ يخافون من كلّ شيء، ويستوحشون من كلّ أحد، وتستولي على أنفسهم نظرة الخوف، فلا يستطيعون أن يقفوا على ولي ومؤنس يطوي الهموم، ولا يجدون شريكاً للنشاطات الاجتماعية، ولا معيناً ونصيراً ليوم الشدّة!»[1].

(١) الشيرازي: ناصر مكارم: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط١، بيروت، دار الأميرة، ١٤٢٦هـ.ق/ ٢٠٠٥م، ١٦/ ٣٥٣-٣٥٤.

✓ **بيان المفاهيم الرئيسة.**

١- الاتّجاه الاجتماعيّ هو تأثير ذوق المفسّر وخلفيّاته الاجتماعيّة العصريّة في عمليّة تفسيره للقرآن وفهم معانيه وبيان مقاصده.

٢- نشأ هذا الاتجاه في البحث والتفسير لدى المفسّرين في القرون الأخيرة، مع ظهور حركات الصحوة الإسلاميّة. وقد تبلور هذا الاتّجاه بشكل سريع، حتى ظهرت التفاسير الكثيرة التي تتناول تفسير القرآن من خلال مقاربات اجتماعية معاصرة تنطلق من الواقع المعاش إلى القرآن، بهدف الاستمداد منه في حلّ معضلات الواقع الاجتماعيّ السياسيّة والعسكريّة والاقتصاديّة والتربوية... وترشيد سير المجتمع الإنسانيّ ووجهته.

٣- أغلب ما يهتمّ به المفسِّر في الاتّجاه الاجتماعيّ، هو الآتي: الآيات التي تتناول المسائل الاجتماعيّة/ الانطلاق من مشاكل الواقع المعاصر إلى القرآن بحثاً عن حلول لها/ الآيات التي تتناول التعاليم التربوية والأخلاقية/ إيصال تعاليم القرآن إلى أكبر قدر من الناس.

٤- من أبرز التوجّهات الاجتماعيّة: العلاقات الاجتماعيّة بين المسلمين/ العلاقات الاجتماعية مع الشعوب الأخرى/ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/ المسائل الصحيّة والبيئيّة/ التربية والتعليم/ التعاون والتكافل الاجتماعي/ العلوم الطبيعية والإنسانية/ حرّيّة الإنسان/ الحكم وإدارة المجتمع/ الجهاد والدفاع.

٥- من أبرز التفاسير الاجتماعيّة: تفسير جزء عمّ، تفسير المنار، تفسير القاسمي (محاسن التأويل)، تفسير المراغي، في ظلال القرآن، الميزان في تفسير القرآن، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، من وحي القرآن،

الكاشف، الفرقان في تفسير القرآن، من هدي القرآن، مفاهيم القرآن، معارف القرآن، تفسير تسنيم، تفسير النور.

✓ أسئلة تقويمية.

١- عرّف الاتّجاه الاجتماعيّ في التفسير، مبيّناً اهتمامات المفسّر فيه؟.

٢- ما هي أبرز التوجّهات الاجتماعيّة في التفسير؟ وما هي أبرز خصائصها؟.

٣- اذكر أنموذجاً تطبيقيّاً للاتّجاه الاجتماعيّ في التفسير؟.

✓ **قراءة في كتاب الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل.**[1]

هذا الكتاب من تأليف العلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، وهو أوّل تفسير أنموذجيّ ظهر إلى الوجود، وكان قد تعاون عليه جمع من فضلاء الحوزة العلميّة في قم المقدّسة، وذلك خلال مدّة ١٤ سنة (١٣٩٦ - ١٤١٠هـ.ق).

ولهذا، كان التفسير عملاً جماعيّاً، قد بذلت في تدوينه جهود، ولكنْ تحت إشراف العلّامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، أحد أعلام العصر، ومن المجاهدين في سبيل الدعوة الإسلاميّة، صاحب تآليف إسلاميّة عريقة، وصاحب نظر ورأي واجتهاد.

وهذا التفسير إنّما دوّن وكتب ليكون غذاءً نافعاً للجيل المعاصر، ولذلك جاء بالأهمّ من المواضيع الإسلاميّة، التربويّة والأخلاقيّة، ومتناسباً مع المستوى العامّ، فكانت خدمة جليلة أسداها الشيخ ناصر مكارم الشيرازي وأعوانه، وقدّموها للجيل المتعطّش إلى فهم معاني القرآن بشكل واسع، والاستقاء من مناهله العذبة.

كتب هذا التفسير بالفارسيّة (تفسير نمونه) في ٢٧ مجلّداً، وترجم إلى العربية

(١) انظر: معرفة: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ٢/١٠٣٠-١٠٣١.

باسم الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل في ٢٠ مجلّداً. وطبع عدّة مرّات.

كما أنّه لُخّص في ثلاثة مجلّدات باسم (برگزيدة تفسير نمونه) إعداداً للتدريس في الحوزة بتحقيق وتنظيم أحمد عليّ بابايي، فكان موضع حفاوة الطلبة والمدرّسين. وترجم إلى العربيّة في ٥ مجلّدات باسم (مختصر تفسير الأمثل).

المحاضرة الثالثة عشرة
الاتّجاه الأدبيّ واللغويّ في تفسير القرآن الكريم

✓ **أهداف المحاضرة:** أنْ من أهم اهداف المحاضرة أن يكون المتعلّم قادراً في نهايتها على أن:

١- يتعرّف إلى الاتّجاه الأدبيّ واللغويّ في تفسير القرآن، ونشأته وتاريخه.

٢- يدرك اهتمامات التفاسير الأدبية واللغوية وتوجّهاتها.

٣- يفهم ضوابط استخدام الاتّجاه الأدبيّ واللغويّ في تفسير القرآن، مع التدرّب على نماذج تطبيقية عليه.

✓ **تعريف الاتّجاه الأدبيّ واللغويّ في تفسير القرآن الكريم.**

الاتجاه الأدبي واللغوي في التفسير: هوتأثير ذوق المفسّر وخلفيّاته الأدبيّة واللغويّة في عمليّة تفسيره للقرآن وفهم معانيه وبيان مقاصده.

✓ **نشأة الاتّجاه الأدبيّ واللغويّ وتاريخه.**

نشأ هذا الاتّجاه منذ عصر النبيّ ﷺ، من منطلق أنّ القرآن الكريم نزل بلغة العرب، ولا بدّ من فهم خصائص الكلام العربيّ حتّى يمكن فهم القرآن. فقد كان صحابة النبيّ ﷺ يعتنون بالبحث عن معاني بعض المفردات الواردة في القرآن، فيسألونه ﷺ عنها. واستمرّت عناية التابعين من بعدهم بالجانب اللغويّ، حتّى ظهرت مؤلّفات تفسيريّة تعنى بالجوانب اللغويّة والأدبيّة للقرآن. وما زال هذا الاتّجاه رائجاً في التفسير إلى واقعنا المعاصر[١].

✓ **اهتمامات الاتّجاه الأدبيّ واللغويّ في تفسير القرآن الكريم.**

أغلب ما يهتمّ به المفسِّر في الاتّجاه اللغويّ والأدبيّ هو الآتي[٢]:

---

(١) انظر: الرضائي: مناهج التفسير واتّجاهاته، ص٣٨٨، معرفة: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ٩٠١/٢-٩٣٢، السبحاني: المناهج التفسيرية، ١٥٠-١٥٧.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص٣٨٩.

١- النكات النحويّة والصرفيّة والبلاغيّة في القرآن.
٢- الإعجاز الأدبيّ والبلاغيّ في القرآن.
٣- اللغات الغريبة والمشكلة في القرآن.
٤- اختلاف القراءات وتأثيره على اختلاف المعنى.
٥- جذور الكلمات واشتقاقاتها في القرآن.

✓ **أبرز التوجّهات الأدبيّة واللغويّة[1] في هذا المنهج.**

أولاً: التوجه اللغويّ (مفردات القرآن/ غرائب القرآن/ معاني القرآن): ويُعنى التوجه بالتركيز على دراسة اللغات المبهمة والغريبة الواردة في القرآن، ومعرفة الجذر الاشتقاقيّ للكلمة، والتغيّرات التي طرأت عليها، والتطوّر التاريخيّ للّغة، والاستشهاد بأشعار العرب وكلامهم، والالتفات إلى الوجوه والنظائر والحقيقة والمجاز وغيرها من المسائل اللغوية التي تتيح للمفسّر فهماً أدق للقرآن. ومن أبرز الكتب التي أُلِّفت في هذا المجال، الآتي:

١- تفسير غريب القرآن: المنسوب إلى الشهيد زيد بن علي بن الحسين عليه السلام.
٢- تفسير معاني القرآن: يحيى بن زياد الديلمي المعروف بالفرّاء (ت: ٢٠٧ هـ.ق).
٣- تفسير غريب القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ.ق).
٤- تفسير مفردات ألفاظ القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد بن

(١) انظر: الرضائي: مناهج التفسير واتّجاهاته، ص٣٨٩-٣٩٢، معرفة، التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ٩٠١/٢- ٩٣٢.

المفضّل المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٣هـ.ق).

٥- تفسير وجوه القرآن: أبو الفضل بن إبراهيم التفليس (ت: ٦٠٠ هـ.ق).

٦- تفسير الوجوه والنظائر في القرآن: أبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني (القرن الثامن).

٧- تفسير مبهمات القرآن: أبو عبد الله محمد بن علي البلنسي (ت: ٨=٧٨٢هـ.ق).

٨- تفسير غريب القرآن: سراج الدين أبو حفص عمر بن أبي الحسن (ت: ٨٠٤هـ.ق).

٩- تفسير غريب القرآن: فخر الدين الطريحي (ت: ١٠٨٧هـ.ق).

١٠- التحقيق في كلمات القرآن: الشيخ محمد المصطفوي.

ثانياً: التوجه الأدبيّ (البلاغي والبيانيّ):

ويُعنى هذا التوجه بالتركيز على الجوانب اللفظيّة والمعنائيّة المتشابهة للآيات، من خلال مراعاة مسائل الصرف والنحو والبلاغة، بهدف فهم القرآن فهماً صحيحاً ودقيقاً. ومن أبرز الكتب التي أُلِّفت في هذا المجال، الآتي:

١- تفسير مجمع البيان: العلامة الطبرسي.

٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: جار الله الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨هـ.ق).

٣- إملاء ما به منّ الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: ٦١٦هـ.ق).

٤- البحر المحيط: أثير الدين محمد بن يوسف بن علي الحياني الأندلسي النحوي (ت: ٧٤٥هـ.ق).

٥- التحصيل في مختصر التفصيل: أبو العباس أحمد التميمي الأندلسي (ت: ٤٤٠هـ.ق).

٦- تفسير القرآن وإعرابه وبيانه: الشيخ محمد علي طه درّة (معاصر).

٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (تفسير البقاعي): برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ.ق).

٨- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود): أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت: ٩٨٢هـ.ق).

وقد تناولت بعض التفاسير بحوثاً لغويّة وأدبيّة وبلاغيّة ضمنيّاً، منها:

أ- تفسير مجمع البيان: العلامة الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ.ق).

ب- تفسير الجلالين: جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ.ق).

ج- تفسير شبّر: السيد عبد الله بن شبّر الكاظمي النجفي (ت: ١٢٤٢هـ.ق).

✓ **نماذج تطبيقيّة للاتّجاه الأدبيّ واللغويّ في تفسير القرآن الكريم.**

أولاً: معنى كلمة «اللّه» في القرآن: قال الراغب الأصفهانيّ في تفسير مفردات ألفاظ القرآن: «اللَّه: قيل: أصله إله فحذفت همزته، وأدخل عليها الألف واللام، فخصّ بالباري تعالى، ولتخصّصه به قال تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾[1]. وإله جعلوه اسماً لكلّ معبود لهم، وكذا اللات، وسمّوا الشمس إِلَاهَة لاتّخاذهم إيّاها معبوداً. وأَلَه فلان يَأْلُه الآلهة: عبد، وقيل: تَأَلَّه. فالإله على هذا هو المعبود. وقيل: هو من: أَلِه، أي: تحيّر، وتسميته بذلك إشارة إلى ما قال أمير المؤمنين عليّ رضي اللَّه عنه: «**كلّ دون صفاته تحبير الصفات، وضلّ هناك تصاريف اللغات**»، وذلك أنّ العبد إذا تفكَّر في صفاته تحيّر فيها، ولهذا روي: «**تفكَّروا في آلاء اللَّه، ولا تفكَّروا في اللَّه**».

(١) سورة مريم/ الآية ٦٥.

وقيل: أصله: ولاه، فأبدل من الواو همزة، وتسميته بذلك، لكون كلّ مخلوق والهاً نحوه، إمّا بالتسخير فقط، كالجمادات والحيوانات، وإمّا بالتسخير والإرادة معاً، كبعض الناس، ومن هذا الوجه قال بعض الحكماء: اللّه محبوب الأشياء كلّها، وعليه دلّ قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[١]. وقيل: أصله من: لاه يلوه لياها، أي: احتجب. قالوا: وذلك إشارة إلى ما قال تعالى: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٢]، والمشار إليه بالباطن في قوله: ﴿وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[٣]. وإلَه حقّه ألا يجمع، إذ لا معبود سواه، لكنّ العرب لاعتقادهم أنّ ها هنا معبودات جمعوه، فقالوا: الآلهة. قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾[٤]، وقال: ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾[٥]، وقرئ: (وإلاهتك)، أي: عبادتك. ولاه أنت، أي: للّه، وحذف إحدى اللامين. (اللهم). قيل: معناه: يا اللّه، فأبدل من الياء في أوله الميمان في آخره، وخصّ بدعاء اللّه، وقيل: تقديره: يا اللّه أمّنا بخير، مركّب تركيب حيّهلا»[٦].

ثانياً: تفسير معنى الظلمات والسراب: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[٧]

---

(١) سورة الإسراء/ الآية ٤٤.

(٢) سورة الأنعام/ الآية ١٠٣.

(٣) سورة الحديد/ الآية ٣.

(٤) سورة الأنبياء/ الآية ٤٣.

(٥) سورة الأعراف/ الآية ١٢٧.

(٦) الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص٨٢-٨٣.

(٧) سورة النور/ الآيتان ٣٩-٤٠.

١- **معنى الظلمات:** قال العلّامة الطبرسيّ قدس سره في تفسير مجمع البيان بصدد تفسير هاتين الآيتين:

القراءة: قرأ ابن كثير في رواية البزي: (سحاب) بغير تنوين (ظلمات) بالجرّ، وفي رواية القواس وابن فليح: (سحاب) بالتنوين (ظلمات) بالجرّ. والباقون كلاهما بالرفع والتنوين.

الحجّة: قال أبو عليّ: قوله: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾ معناه: أو كذي ظلمات، ويدلّ على حذف المضاف قوله: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾. فالضمير الذي أضيف إليه ﴿يَدَهُ﴾ يعود إلى المضاف المحذوف. ومعنى ذي ظلمات أنّه في ظلمات. ومعنى ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾: ظلمة البحر، وظلمة الموج، وظلمة الموج الذي في الموج. وقوله: ﴿خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾[1]: فإنّه يجوز أن يكون ظلمة الرحم، وظلمة البطن، وظلمة المشيمة. وقوله: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾[2]: ظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، وظلمة الليل. ويجوز أن يكون الالتقام كان بالليل، فهذه ظلمات. ومن قرأ (سحاب، ظلمات) فرفع ظلمات، كان خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه ظلمات بعضها فوق بعض. ومن قرأ (سحاب ظلمات)، جاز أن يكون تكريراً، وبدلاً من ظلمات الأولى. ومن قرأ (سحاب ظلمات) بإضافة سحاب إلى الظلمات، فالظلمات هي الظلمات التي تقدَّم ذكرها، فأضاف السحاب إلى الظلمات، لاستقلال السحاب، وارتفاعه في وقت كون هذه الظلمات، كما تقول: سحاب رحمة، وسحاب مطر إذا ارتفع في الوقت الذي يكون فيه الرحمة والمطر.

٢-**معنى السراب:** شعاع يتخيّل كالماء، يجري على الأرض نصف النهار،

(١) سورة الزمر/ الآية ٦.

(٢) سورة الأنبياء/ الآية ٨٧.

حين يشتدّ الحرّ. والآل: شعاع يرتفع بين السماء والأرض، كالماء ضحوة النهار، والآل: يرفع الشخص الذي فيه، وإنّما قيل سراب، لأنّه ينسرب، أي يجري كالماء. وقيعة: جمع قاع، وهو الواسع من الأرض المنبسطة، وفيه يكون السراب. ولجّة البحر: معظمه الذي يتراكب أمواجه، فلا يرى ساحله. والتجّ البحر التجاجاً.

المعنى: ثمّ ذكر سبحانه مثل الكفّار، فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ﴾ التي يعملونها ويعتقدون أنّها طاعات ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾، أي: كشعاع بأرض مستوية ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾، أي: يظنّه العطشان ماء ﴿إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾، أي: حتّى إذا انتهى إليه، رأى أرضاً لا ماء فيها، وهو قوله ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾، أي: شيئاً ممّا حسب وقدر، فكذلك الكافر يحسب ما قدّم من عمله نافعاً، وأنّ له عليه ثواباً، وليس له ثواب. ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ قيل: معناه ووجد الله عند عمله، فجازاه على كفره. وهذا في الظاهر خبر عن الظمآن. والمراد به الخبر عن الكفّار. ولكن لمّا ضرب الظمآن مثلاً للكفّار، جعل الخبر عنه كالخبر عنهم، والمعنى: وجد أمر الله، ووجد جزاء الله. وقيل: معناه وجد الله عنده بالمرصاد، فأتمّ له جزاه. ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ لا يشغله حساب عن حساب، فيحاسب الجميع على أفعالهم في حالة واحدة. وسئل أمير المؤمنين عليه السلام، كيف يحاسبهم في حالة واحدة ؟ فقال: «كما يرزقهم في حالة واحدة». وقيل: إنّ المراد به عتبة بن ربيعة، كان يلتمس الدين في الجاهلية، ثمّ كفر في الإسلام، عن مقاتل. ثمّ ذكر مثلاً آخر لأعمالهم، فقال: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾، أي: أو أفعالهم مثل ظلمات ﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾، أي: عظيم اللجة لا يرى ساحله. وقيل: هو العميق الذي يبعد عمقه، عن ابن عباس. ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾، أي: يعلو ذلك البحر اللجّي موج.

وقوله تعالى: ﴿مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾، أي: فوق ذلك الموج موج. ﴿مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾، أي: من فوق الموج سحاب. ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾، يعني ظلمة البحر، وظلمة الموج، وظلمة السحاب، والمعنى: إنّ الكافر يعمل في حيرة، ولا يهتدي لرشده، فهو من جهله وحيرته، كمن هو في هذه الظلمات، لأنّه من عمله وكلامه واعتقاده، متقلّب في ظلمات. وروي عن أُبي أنّه قال: إنّ الكافر يتقلّب في خمس ظلمات: كلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره يوم القيامة إلى الظلمة، وهي النار. ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ اختلف في معناه، فقيل: لا يراها، ولا يقارب رؤيتها، فهو نفي للرؤية، ونفي مقاربة الرؤية، لأنّ دون هذه الظلمة لا يرى فيها، عن الحسن، وأكثر المفسّرين، ويدلّ عليه قول ذي الرمة:

إذا غيّر النأي المحبين لم يكد على كل حال، حب مية يبرح

ويروى: (رسيس الهوى من حب مية يبرح)، وقال آخر: (ما كدت أعرف إلا بعد إنكاري). وقال الفراء: كاد صلة، والمعنى إنّه لم يرها، إلا بعد جهد ومشقّة رؤية تخيّل لصورتها، لأنّ حكم كاد إذا لم يدخل عليها حرف نفي، أن تكون نافية، وإذا دخلها دلّت على أن يكون الأمر وقع بعد بطء، عن المبرّد. ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾، أي: من لم يجعل الله له نجاة وفرجاً، فما له من نجاة. وقيل: ومن لم يجعل الله له نوراً في القيامة، فما له من نور»[1].

✓ بيان **المفاهيم الرئيسة.**

١- الاتّجاه الأدبيّ واللغويّ هو تأثير ذوق المفسّر وخلفيّاته الأدبيّة واللغويّة في عمليّة تفسيره للقرآن وفهم معانيه وبيان مقاصده.

٢- نشأ هذا الاتّجاه منذ عصر النبيّ ﷺ، واشتهر بين الصحابة.

(١) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، ٢٥٥/٧- ٢٥٧.

واستمرّت عناية التابعين من بعدهم بالجانب اللغويّ. وما زال هذا الاتّجاه رائجاً في التفسير إلى واقعنا المعاصر.

٣- أغلب ما يهتمّ به المفسِّر في الاتّجاه اللغويّ والأدبيّ هو الآتي: النكات النحويّة والصرفيّة والبلاغيّة/ الإعجاز الأدبيّ والبلاغيّ/ اللغات الغريبة والمشكلة/ اختلاف القراءات وتأثيره على اختلاف المعنى/ جذور الكلمات واشتقاقاتها.

٤- من أبرز التوجّهات الأدبيّة واللغويّة: الاتّجاه اللغوي (مفردات القرآن/ غرائب القرآن/ معاني القرآن)، الاتّجاه الأدبيّ (البلاغي والبيانيّ).

✓ **أسئلة تقويمية.**

١- عرّف الاتّجاه الأدبيّ واللغويّ في التفسير، مبيّناً اهتمامات المفسّر فيه؟.

٢- ما هي أبرز التوجّهات الادبيّة واللغويّة في التفسير؟ وما هي أبرز خصائصها؟

٣- اذكر أنموذجاً تطبيقيّاً للاتّجاه الأدبيّ واللغويّ في التفسير؟.

✓ **قراءة في تفسير البحر المحيط**[1].

هذا التفسير من تأليف أثير الدين محمّد بن يوسف بن عليّ الحيانيّ الشهير بأبي حيّان الأندلسيّ الغرناطيّ، النحويّ اللغويّ (٦٥٤ - ٧٤٥هـ.ق).

ويُعدّ هذا التفسير من أجمع التفاسير على النكات الأدبيّة الرائعة التي اشتمل عليها القرآن الكريم، وأوفرها بحثاً وراء كشف المعاني الدقيقة التي حواها كلام الله العزيز الحميد. وقد امتاز بالاهتمام البالغ بجهات اللغة والنحو والأدب البارع، ويعدّ تفسيره ديواناً حافلاً بشواهد تفسير الكلمات واللغات والتعابير العربيّة

(١) انظر: معرفة، التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، م.س، ج٢، ص٩١٨-٩١٩.

الوجوه الإعرابيّة، كما اهتمّ بالقراءات واللهجات، إذ كان عارفاً بها، ونقل أقوال الأئمّة وآراء الفقهاء، فكان تفسيراً جامعاً وشاملاً يروي الغليل ويشفي العليل.

وقد أبان مؤلّفه عن منهجه في مقدّمة تفسيره، قائلاً: «وترتيبي في هذا الكتاب أنّي ابتدأت أوّلاً بالكلام على مفردات الآية التي أُفسّرها لفظة لفظة، فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحويّة التي لتلك اللفظة قبل التركيب، وإذا كان لكلمة معنيان أو معان، ذكرت ذلك في أوّل موضع فيه تلك الكلمة، لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كلّ موضع تقع فيه فيحمل عليه. ثم أشرع في تفسير الآية، ذاكراً سبب نزولها إذا كان لها سبب ونسخها ومناسبتها وارتباطها بما قبلها، حاشداً فيها القراءات، شاذّها ومستعملها، ذاكراً توجيه ذلك في علم العربيّة، ناقلاً أقاويل السلف والخلف في فهم معانيها، متكلّماً على جليّها وخفيّها، بحيث إنّي لم أُغادر منها كلمة وإن اشتهرت، حتى أتكلّم عليها، مبدياً ما فيها من غوامض الإعراب ودقائق الأدب، من بديع وبيان، مجتهداً. ثمّ أختتم الكلام في جملة من الآيات التي أفسّرها إفراداً وتركيباً، بما ذكروا فيها من علم البيان والبديع ملخّصاً»[1].

(١) ابو حيان: تفسير البحر المحيط، ٤/١-٥.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

دستورنا الذي انتهجناه مرتلاً منزلاً من الله
وعن أي شيءٍ سألناه اجابناً قطعاً بما رآه

١- ابن بابويه، محمد بن علي بن الحسين (الصدوق): التوحيد، تصحيح وتعليق: هاشم الحسيني الطهراني، قم المقدّسة، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، لا.ت.

٢- ابن بابويه، محمد بن علي بن الحسين (الصدوق): عيون أخبار الرضا عليه السلام، تصحيح وتعليق وتقديم: حسين الأعلمي، ط١، بيروت، مؤسّسة الأعلمي، ١٤٠٤هـ.ق/ ١٩٨٤م.

٣- ابن بابويه، محمد بن علي بن الحسين (الصدوق): كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، لا.ط، قم المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤٠٥هـ.ق/ ١٣٦٣هـ.ش.

٤- ابن حنبل، أحمد: مسند أحمد، لا.ط، بيروت، دار صادر، لا.ت.

٥- ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، تونس، دار سحنون، ١٩٩٧م.

٦- ابن عربي، محيي الدين: الفتوحات المكّيّة، تحقيق وتقديم: عثمان يحيى، تصدير ومراجعة: إبراهيم مدكور، لا.ط، القاهرة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٣٩٤هـ.ق/ ١٩٧٤م.

٧- ابن عربي، محيي الدين: تفسير ابن عربي، ضبط وتصحيح وتقديم: عبد الوارث محمد علي، ط١، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٢٢هـ.ق/ ٢٠٠١م.

٨- ابن فارس، أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، قم المقدّسة، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.ق.

٩- الإحسائي، ابن أبي جمهور: عوالي اللآلي، تحقيق: مجتبى العراقي، ط١، قم المقدّسة، مطبعة سيد الشهداء، ١٤٠٥هـ.ق/ ١٩٨٥م.
١٠- الأصفهاني، حسين (الراغب): مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٢، قم المقدّسة، مطبعة سليمانزاده، طليعة النور، المقدّمة، ١٤٢٧هـ.ق.
١١- الأندلسي، أبو حيان: البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، ط١، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٢٢هـ.ق/ ٢٠٠١م.
١٢- البرقي، أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن، تحقيق: جلال الدين الحسيني (المحدّث)، ط١، طهران، مطبعة رنكين، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٧٠هـ.ق/ ١٣٣٠هـ.ش.
١٣- الخوئي، أبو القاسم: البيان في تفسير القرآن، ط٤، بيروت، دار الزهراء للطباعة والنشر، ١٣٩٥هـ.ق/ ١٩٧٥م.
١٤- دروس في علوم القرآن الكريم، ط١، بيروت، مركز نون للتأليف والترجمة، ٢٠١٤م.
١٥- الذهبي، محمّد حسين: التفسير والمفسّرون، ط٢، دار الكتب الحديثة، ١٩٧٦م.
١٦- الرازي، فخر الدين: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، لا.ط (جديدة مصحّحة وملوّنة)، تحقيق ونشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٥هـ.ق/ ١٩٩٥م.
١٧- الرضائي، محمّد علي: مناهج التفسير واتّجاهاته -دراسة مقارنة في مناهج تفسير القرآن الكريم-، تعريب: قاسم البيضائي، ط٣، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠١١م.

١٨- الزرقاني، عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فوّاز أحمد زمرلي، ط١، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ١٤١٥هـ.ق/ ١٩٩٥م.
١٩-السبحاني، جعفر: المناهج التفسيريّة في علوم القرآن، ط٤، قم المقدّسة، مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام، ١٤٣٢هـ.ق.
٢٠- السبحاني، جعفر: كلّيّات في علم الرجال، ط٢، قم المقدّسة، مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام، ١٤٢٨هـ.ق.
٢١-السيوري، المقداد بن عبد الله: كنز العرفان في فقه القرآن، تعليق: محمد باقر شريف زاده، تصحيح وتخريج أحاديث: محمد باقر البهبودي، لا.ط، طهران، المكتبة الرضويّة، مطبعة حيدري، ١٣٨٤هـ.ق/ ١٣٤٣هـ.ش.
٢٢- السيوطي، جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المندوب، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤١٦هـ.ق/ ١٩٩٦م.
٢٣-الشيرازي، ناصر مكارم: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط١، بيروت، دار الأميرة، ١٤٢٦هـ.ق/ ٢٠٠٥م.
٢٤-الصدر، محمد باقر: المدرسة القرآنية، بيروت، دار التعارف، ١٩٨١م.
٢٥-الصدر، محمد باقر: دروس في علم الأصول (الحلقة الأولى)، لا.ط، بيروت، دار التعارف، ١٤٢٥هـ.ق/ ٢٠٠٤م.
٢٦-الصدر، محمد باقر: دروس في علم الأصول (الحلقة الثانية)، لا.ط، بيروت، دار التعارف، ١٤٢٥هـ.ق/ ٢٠٠٤م.
٢٧- الصدر، محمد باقر: دروس في علم الأصول(الحلقة الثالثة)، لا.ط، بيروت، دار التعارف،١٤١٠هـ.ق/ ١٩٨٩م.
٢٨-الصغير، محمد حسين: المبادىء العامّة لتفسير القرآن الكريم بين النظريّة والتطبيق، ط١، بيروت، دار المؤرّخ العربي، ١٤٢٠هـ.ق/ ٢٠٠٠م.

٢٩- الصفّار، محمد بن الحسن: بصائر الدرجات، تصحيح وتعليق وتقديم: حسن كوجه باغي، لا.ط، طهران، منشورات الأعلمي، مطبعة الأحمدي، ١٤٠٤هـ.ق/ ١٣٦٢هـ.ش.

٣٠- الطباطبائي، محمد حسين: القرآن في الإسلام، تعريب: أحمد الحسيني، لا.ط، لا.م، لا.ن، لا.ت.

٣١- الطباطبائي، محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن، لا.ط، قم المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، لا.ت.

٣٢-الطبرسي، الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحقّقين، ط١، بيروت، مؤسّسة الأعلمي، ١٤١٥هـ.ق/ ١٩٩٥م.

٣٣- الطبري، محمد (ابن جرير): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تقديم: خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، لا.ط، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ.ق/ ١٩٩٥م.

٣٤- الطريحي، فخر الدين: مجمع البحرين، ط٢، طهران، المكتبة المرتضويّة، مطبعة چاپخانهء طراوت، ١٣٦٢هـ.ش.

٣٥- الطوسي، محمد بن الحسن: الأمالي، تحقيق ونشر: مؤسّسة البعثة، ط١، قم المقدّسة، ١٤١٤هـ.ق.

٣٦- العك، خالد عبد الرحمن: أصول التفسير وقواعده، ط٣، بيروت، دار النفائس، ١٤١٤هـ.ق/ ١٩٩٤م.

٣٧- العياشي، محمد بن مسعود: تفسير العياشي، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، لا.ط، طهران، المكتبة العلمية الإسلامية، لا.ت.

٣٨- القمي، علي بن إبراهيم: تفسير القمي، تصحيح وتعليق وتقديم: طيب الموسوي الجزائري.

قائمة المحتويات

المقدمة..... ٥
المحاضرة الأولى: مصادر التفسير المختلفة..... ٧
المحاضرة الثانية: المناهج والاتّجاهات التفسيريّة ٢١
المحاضرة الثالثة: منهج تفسير القرآن بالقرآن ٣٣
المحاضرة الرابعة: منهج تفسير القرآن بالسنّة..... ٤٩
المحاضرة الخامسة: المنهج العقليّ في تفسير القرآن الكريم ٦٣
المحاضرة السادسة: منهج التفسير الاشاري للقرآن الكريم ٧٩
المحاضرة السابعة: المنهج العلميّ في تفسير القرآن الكريم ٩٣
المحاضرة الثامنة: منهج تفسير القرآن الكريم بالرأي ١٠٥
المحاضرة التاسعة: الاتّجاه الكلاميّ في تفسير القرآن الكريم ١١٩
المحاضرة العاشرة: الاتّجاه الفقهيّ في تفسير القرآن الكريم.....١٣٣
المحاضرة الحادية عشر: الاتّجاه الفلسفيّ في تفسير القرآن الكريم ١٤٧
المحاضرة الثانية عشر: الاتّجاه الاجتماعيّ في تفسير القرآن الكريم ١٥٧
المحاضرة الثالثة عشرة: الاتّجاه الأدبيّ واللغويّ في تفسير القرآن الكريم ... ١٧١
المصادر والمراجع..... ١٨٣